الاحوال الاجتماعية لأهل الذمّة في منظور المستشرق الألماني
آدم متز بكتابه نهضة الاسلام (دراسة تحليلية نقدية)

أ.د. يوسف كاظم جغيل الشمري
كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل

الملخص

اهل الذمة هم اهل الكتاب الموحدون الذين عاشوا في كنف الدولة الاسلامية، بعد ان خضعوا لتعاليم الدين الاسلامي متمثلة بدفع الجزية عن يد وهم صاغرون، تناول متز بكتابه نهضة الاسلام اهل الذمة، وقد تتبعنا ما تمكن متز من الوصول اليه من خلال تحديد مناطق تواجد اهل الذمة، وطوائفهم بأعدادها واماكن تركيز تواجدها، كذلك رؤسائهم في الدولة الاسلامية ومسمياتهم والنفوذ الذي تمتعوا فيه، و قد سلط البحث الضوء على هي الممارسات الاجتماعية التي مارسها اهل الذمة، والتركيز على ما يميزهم من ملبس وعلامات اخرى فرضت عليهم، وركز البحث ايضا على احتفالات اهل الذمة باعيادهم، واشتراك المسلمين معهم في تلك الاحتفالات رغبة منهم لطلب المتعة والمرح وليس التدين بدينهم، كذلك سلط البحث الضوء على موقف الذميين ممن يترك دينهم ويعتنق الاسلام، ومما تم التطرق اليه هو موقفهم من التزاوج مع المسلمين.

الكلمات المفتاحية: (اهل الذمة، الحياة الاجتماعية، آدم متز، نهضة الاسلام، الحضارة الاسلامية، اليهود، النصارى، الصابئة، المجوس، الزنار، الاعياد غير الاسلامية، بنيامين التطيلي، بتاحيا اليهودي، الجاثليق، راس الجالوت).

Summary

Ahl al-Dhahma are the monotheistic people who lived in the Islamic state, after they were subjected to the teachings of the Islamic religion, by paying the tribute from the hands of the little ones. Metz dealt with the book Nahdat al-Islam al-Dehma. , And their communities in numbers and places of concentration of their presence, as well as their heads in the Islamic State and their names and influence in which they enjoyed, as well as what highlighted the research is the social practices practiced by the people of the Dharma, and focus on what distinguishes them from clothing and other signs imposed on them, At his And the participation of Muslims with them in those celebrations in order to seek pleasure and fun and not religiously religion, as well as research highlighted the position of the religious who leave their religion and embrace Islam, and was touched on is their position of mating with Muslims.

Keywords: Ahl al-Dhimah, Social Life, Adam Metz, Nahdat al-Islam, Islamic Civilization, Jews, Christians, Sabians, Magi, Zanar, Non-Islamic Feasts،

المقدمة

يعدّ موضوع اهل الذمة عند المستشرقين من المواضيع الأساسية لاسيما ان البحث يتعلق بالاحوال الاجتماعية لأهل الذمة في الدولة العربية الاسلامية، ومن مؤلفات المستشرقين، كتاب: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري)، لآدم متز وهو من المؤلفات الهامة، وقد طبع عدة مرات، وترجم الى لغات كثيرة منها: اللغة العربية، اذ قام الدكتور: (محمد عبد الهادي ابو ريدة) وبطلب من الدكتور: (احمد امين) بترجمة الكتاب الى اللغة العربية –بحسب ما جاء بالطبعة التي اعتمدناها وهي الطبعة الثانية التي طبعت بجزئين في القاهرة بمطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، سنة ١٩٥٧م– وقد عنون الكتاب باللفظ: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري)، ومن المعلوم ان هذه الصياغة اختلفت عن العنوان الذي سماه به مؤلفه متز، وهو: (نهضة

الاسلام)، Die Renaaissance des Islam، الا انها تعطِ معنىً واحداً، اذ ان نهضة الاسلام وصلت الى اوجها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

اختلفت وتعددت مناهج المستشرقين في دراساتهم كل حسب المدرسة التي ينتمي اليها، وقد عدَّ متز بانه علما من اعلام المدرسة الاستشراقية الالمانية، مع انه كان استاذ اللغات الشرقية في سويسرا بمدينة بازل، الا انه الماني الاصل ويحسب على المدرسة الاستشراقية الالمانية، واعطت دراسة منهجيته في هذا الكتاب صورة لسماته ومميزاته، اذ غلب وساد الاعتدال والانصاف على منهجيته، ولم يحمل في جعبته الحقد على الاسلام ولم يلجأ الى الدس والتزوير المسموم الذي عرف في بعض الدراسات الاستشراقية، اتضح ذلك جليا من خلال اعطاء الاحكام المنصفة للاسلام بتنظيم العلائق مع اهل الذمة سيما الاجتماعية منها، ان تعدد موارده التي استقى منها معلوماته وتنوعها هي الاخرى اعطت الكتاب سمة الجديَّة في تعقب المعلومة واخذها من مصدرها الاصلي المختص، فوجدناه يعتمد على المخطوطات المهمة، والمؤلفات المطبوعة المختصة العربية وغير العربية؛ فغلب على موارده الطابع الاسلامي الواضح مع اقتباسه نصوص من مصادر اجنبية.

تأتى اهمية البحث منطلقة باتجاه اخضاع النص التاريخي المتصل باحوال اهل الذمة، وممارساتهم الاجتماعية، واشتراكهم ضمن بودقة الدولة الاسلامية، باسلوب تعايشي ينمّ عن التسامح الديني الذي كان قائما وقتذاك على قدم وساق، ومما زاد من اهمية البحث ان ركزنا بشكل رئيس على حياة اهل الذمة الاجتماعية عند آدم متز في هذا الكتاب، ومع ان النَفَس العقائدي كان واضحا نوعا ما عند آدم متز بميله الى طائفة النصارى من اهل الذمة كون انتماءه اليها، الا انه كان قد اتبع منهجية الحيادية في اصدار الاحكام، سيما ما يتعلق بتعامل الدولة الاسلامية مع رعاياها من اهل الذمة بعدّهم فئة لا يمكن تجاهلها من فئات المكون الاجتماعي فيها.

تم تقسيم البحث الى مقدمة وتمهيد تناولنا فيه تعريفا بكتاب: نهضة الاسلام ومحتواه واهم ما يتعلق بالبحث من فصوله، مع التعريف بمؤلفه آدم متز، ومبحثين اثنين وخاتمة مع قائمة بثبت المصادر والمراجع، عنونا المبحث الاول بـ: (اهل الذمة: رؤساؤهم، طوائفهم، توزيعهم الجغرافي)، اعطينا فيه تعريف للمفهوم اللغوي لأهل الذمة، واهم الاشتراطات التي اشترطت عليهم للعيش في الدولة الاسلامية، وماذا لهم لقاء الالتزام بالاشتراطات وبينا في هذا المبحث رؤساءهم مع مسمياتهم وصلاحياتهم ونفوذهم الذي تمتعوا فيه في الدولة الاسلامية، مع التعريف بطوائفهم واعدادهم في المدن التي تواجدوا فيها، مع التوزيع الجغرافي للكثافة السكانية لهم.

اما المبحث الثاني فقد وسمناه بعنوان: (الانشطة الاجتماعية المميزة لأهل الذمة عند متز)، وضحنا في هذا المبحث اهم الالتزامات التي تميز بها اهل الذمة عن غيرهم من مكونات المجتمع، كالملابس التي كانوا يلبسونها، والعلامات التي فرض عليهم الالتزام بها في ظروف معينة، كانوا يلزمون بها كشد الزنار وركوب بعض المواشي دون غيرها وعدم السماح لهم بممارسات معينة علانية، كذلك موقفهم من ابناء دينهم الذين يغيرون دينهم الى الاسلام، وضوابط التزاوج مع الملل الاخرى سيما المسلمين، والمواريث التي كانوا يرثونها، وتطرقنا فيه الى الاحتفال بالاعياد غير الاسلامية وكيف كانت طقوسهم واسماء بعض اعيادهم، واشتراك المسلمين معهم في هذه المناسبات والاعياد طلبا للمتعة والملذّات، وليس تدينا.

اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر والمراجع الرديفة لكتاب متز: (الحضارة الاسلامية)، الذي كان له النصيب الاوفر بالاحالات في الهامش، وهذا من الضرورات التي لا مفرّ منها، الا اننا رجعنا الى كتب الجغرافية البلدانية، واخذنا منها تعاريف وايضاحات للاماكن التي وردت في البحث، وتحتاج الى توضيح وتعريف، ورجعنا الى مصادر اولية لتعريف عدد من تراجم الاعلام، وكذلك الرجوع الى كتب ومصادر اخذنا منها لايضاح بعض الاستفهامات الواردة في البحث.

التمهيد: التعريف بكتاب نهضة الاسلام ومؤلفه متز.

يعد ادم متز من المستشرقين الالمان البارزين، ولد سنة ١٨٦٩م في ميونخ احدى المدن الالمانية الشهيرة الواقعة في نواحيها الجنوبية، درس وترعرع فيها، وكان مهتما باللغات الشرقية وآدابها، وازداد اهتمامه بالادب العربي سيما القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، درس في الجامعات الالمانية وتخرج منها، ثم سافر الى سويسرا واستقر بمدينة بازل[١]، وقد تخصص في الادب الاسلامي في العصور العباسية، وهو اهتمامه الاول الذي كان يطمح في الوصول الى اتقانه، وبحكم تخصصه في الادب الاسلامي، فقد حقق ونشر سنة ١٩٠٢م حكاية ابو القاسم البغدادي، وبنفس السنة نشر كتاب: ابو القاسم وتقاليد بغداد في عصره، وطبع بمطبعة هايدلبرج[٢]، ومن اهم مؤلفاته هو كتابه: (نهضة الاسلام)Die Renaissance Des Islam، الذي كتبه بالالة الكاتبة تمهيدا لطباعته، ولم يكن قد راجعه مراجعة اخيرة، ولم يضع له مقدمة[٣]، حتى وافاه الاجل سنة ١٩١٧م، فعمل استاذه هـ ريكندروف H Reckendorf سنة ١٩٢٢م، على نشر الكتاب باللغة الالمانية بعنوانه سالف الذكر، وقد ترجم الى الانكليزية، والاسبانية سنة ١٩٣٦م[٤].

وعند حديث رضوان السيد عن مؤلفات ريكندروف استاذ المستشرق متز، سيما كتابه المعنون: (الافكار السائدة في الاسلام)، ويقصد بها مفهوم الالوهية والنبوة، قال: "لا يضاهي كتابه هذا في سلاسته ودقته غير كتاب تلميذه آدم متز نهضة الاسلام"[٥]، وهذا يدل على مدى الاهمية التي تمتع بها هذا الكتاب؛ الامر الذي حدى بالدكتور عبد الهادي ابو ريدة الى ترجمة هذا الكتاب، الذي قال عنه: "وقد شاء القدر العجيب، في اثناء الحرب[العالمية الثانية] وتقلباتها ومفاجآتها ان اتم دراستي، بعد انقطاعها بباريس، في جامعة بازل بسويسرة، حيث كان مؤلف الكتاب استاذا قبل عشرين عاما، وان اتتلمذ على تلميذه وخليفته في منصبه، وهو استاذي... رودولف تشودي Rudolf Tschudi وكان الكتاب احيانا موضع حديثنا؛ فاحب ان انبّه ان القارئ الى ان المؤلف كان يقصد من كتابه ان يسجل حضارة الاسلام في القرنين الثالث والرابع [الهجريين] مع العناية الخاصة بالقرن الرابع، ليكون كتابه مقابلا ومشابها لما كتب عن عصر النهضة في اوربا"[٦]، وقد ترجم الدكتور ابو ريدة الكتاب وعنونه باسم: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري)[٧]، وهي الطبعة التي اعتمدناها بالدراسة. وقال الدكتور عبد الرحمن بدوي: "وكتاب متس [هكذا في النص] هذا عرض ممتاز للحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، يتناول كل مرافق المدينة..."[٨].

طبع الكتاب بترجمته الى العربية مرتين، الاولى لم اطلع عليها، ولكن بحسب كلمة المترجم التي كتبت في الطبعة الثانية للكتاب، والمثبت فيها كلمة المترجم للطبعة الاولى، وكلمة المترجم للطبعة الثانية، فقد كان

تاريخ كلمة الطبعة الاولى المثبت هو: ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م[٩]. وطبع الكتاب بترجمته الى العربية الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧م، وهي الطبعة التي اعتمدناها في الدراسة، والتي نقدم وصفا للكتاب في هذه الطبعة التي طبعة بجزأين، الاول منها، يتكون من (٤٩١ صفحة)، خلا تصدير وكلمتين في اول الكتاب، كلمة للمصدّر للكتاب الدكتور احمد امين، وكلمتين للمترجم احداهما للطبعة الاولى وثانيهما للطبعة الثانية، تتكون من (١١ صفحة)، وصفحة واحدة باول الكتاب عنونت بـ: (محتويات الكتاب)، وبآخر الكتاب (١٦ صفحة) عنونت بـ: (فهرست تفصيلي بمحتويات الكتاب)، بالنتيجة فان عدد صفحات هذا الجزء كاملة هو: (٥١٨ صفحة)، ثُبّت فيه (١٧ فصلا)، وهي محتويات الجزء الاول مرقمة ابتداء بالفصل الاول، واخيرا بالفصل السابع عشر، وهذه الفصول بحسب ما وردت بهذا الفهرست نشير الى عنوان الفصل دون ترقيم بحسب التسلسل احتله كل فصل: (المملكة الاسلامية، الخلفاء، الامراء، اليهود والنصارى، الشيعة، الادارة، الوزارة والوزراء، المسائل المالية، رسوم دار الخلافة، الاشراف، الرقيق، العلماء، علوم الدين،المذاهب الفقهية، القضاة، علم اللغة، الادب)، عنوانات هذه الفصول ادرج تحت كل واحد منها معلومات وبيانات تفصيلية بالعنوانات التي تناولها كل فصل من هذه الفصول[١٠].

اما الجزء الثاني، فيتكون متنه من: (٤٤٠ صفحة)، وفي اول الكتاب صفحة واحدة اخذت عنوان: (محتويات الكتاب)، ليس ضمن الرقم المذكور سابقا، وبآخر الكتاب فهرست تفصيلي بمحتويات الكتاب عدد صفحاته: (١١ صفحة)، وبالنتيجة فان عدد صفحات الجزء هي: (٤٥٦ صفحة)، احتوى على (١٢ جزء)، الا ان فصوله اخذت الترقيم الاستمراري المكمل لعدد فصول الجزء الاول، فابتدأ بالجزء: (١٨)، وانتهى بالجزء: (٢٩)، وكانت عنوانات الفصول مرتبة كالاتي ندرجها بحسب تسلسلها الذي رتبت فيه، من دون ترقيم، وهي: (الجغرافيا، الدين، الاخلاق والعادات، احوال المعيشة، احوال المدن، الاعياد، الحاصلات، الصناعات، التجارة، الملاحة النهرية، الموصلات البرية، الملاحة النهرية)، وقد ادرجت تحت كل عنوان فصل من هذه الفصول عنوانات عديدة شكلت كل فصل من هذه الفصول.

اقتصرت دراستنا في احوال اهل الذمة الاجتماعية في هذين الجزأين على فصلين منهما، كانت اكثر المادة حول الموضوع متركزة فيهما، وما عداهما توجد اشارات عديدة افدنا منها بموضوع الدراسة، ففي الجزء الاول، كان التركيز على الفصل الرابع منه، المعنون بـ: (اليهود والنصارى)، الذي شغل الصفحات المحصورة بين الرقمين: (٥٧ – ١٠١)، اما الجزء الثاني، فان الفصل الثالث والعشرين منه، والذي وسم بعنوان: (الاعياد)، قد تركزت فيه المادة ذات العلاقة بالموضوع، وقد شغل هذا الفصل الصفحات المحصورة بين الرقمين: (٢٧٦ - ٢٩٨) منه.

المبحث الاول- اهل الذمة: رؤساؤهم، طوائفهم، توزيعهم الجغرافي

١-من هم اهل الذمة.

انطلقت الرسالة الاسلامية السماوية بتعاليمها السمحاء من قلب شبه الجزيرة العربية، لتعم ارض العرب بعد حدوث ما اطلق عليه اصطلاحا تاريخيا اسلاميا بـ: حروب التحرير، ثم دخلت المرحلة اللاحقة التي سميت بـ: مرحلة الفتوحات الاسلامية، والتي من خلالها تمكن المسلمون من من نشر الديانة الاسلامية في مناطق

واسعة، لتظم امم متعددة الاديان الاجناس والالوان والالسن والعادات، وكان لزاما على الاسلام تنظيم الحياة الاجتماعية للفئات التي يشتمل عليها المجتمع الاسلامي بعد هذا التوسع، وكان الدين الاسلامي قد تعامل مع اهل الديانات التوحيدية السابقة للاسلام، تعاملا خاصا اقره الدين الاسلامي الحنيف، وجعلهم في ذمته، يسمح لهم بالبقاء على دياناتهم التوحيدية وممارسة طقوسهم ضمن ضوابط معينة ، طولبوا بالالتزام بها، سنمر عليها في الاسطر القادمة.

والذمّة هي: الامان والعهد عند اهل اللغة، والجمع ذِمام، وتعني الحرمة والحق[١١]، وتعني الذمة ايضا: العهد والكفالة، وسمي الذميون اهل ذمة لدخولهم في ذمة الاسلام، اي دخولهم في كفالة وحماية المسلمين، الذين يتكفلون لهم بسلامة دمهم وعرضهم ومالهم ماداموا في ارض الاسلام ملتزمين بشروطه التي فرضها عليهم[١٢].

ولابد من القول هنا بان العلاقة مع اهل الذمة والتعاقد معهم كان قد شرعه الله سبحانه وتعالى بآية قرآنية صريحة سنّت وشرّعت التعامل مع الذميين وفقها، وذلك في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾[١٣].

هذه الآية وضحت صراحة الكيفية التي يجب ان يتعامل بها المسلمون مع اهل الذمة، الذين فرضت عليهم دفع جزية سنوية محددة عن الرجل الحالم القادر على حمل السلاح، كظريبة حماية لقاء السماح لهم بممارسة طقوسهم الدينية بشكل محدود، اذ على الذمي ان: يحترم القرآن والرسول، عدم الطعن في الاسلام، عدم التعرض للمسلمات بنكاح او زنا، عدم تحويل المسلم عن دينه، عدم اعانة اهل الحرب من اعداء الاسلام، وهذه الشروط ملزمة موجب الالتزام بها، وهناك شروط اخرى فرضت عليهم الالتزام بها بحسب ما رصدنا في الحوادث التاريخية بحسب الظرف، مثل: لبس الغيار، وشدّ الزنار، ان تكون بيوتهم افل ارتفاعا من بيوت المسلمين، وعدم الضرب على النواقيس في دور عبادتهم، عدم الاجهار بتلاوة طقوسهم وكتبهم، ترك التجاهر بشرب الخمر، وعدم اظهار الصلبان والخنازير، وعدم رفع قبورهم عن الارض، وعدم ركوب الخيل، والاكتفاء بركوب البغال والحمير[١٤].

بهذه الشروط والالتزامات التي وضعت من قبل الشارع الاسلامي، كان على اهل الذمة الالتزام بها وعدم مخالفتها كي تكون الدولة الاسلامية ملومة بما عليها من حفظ العهد والامان والذمة لهم، من حماية دمهم وعرضهم ومالهم ماداموا في ارض الاسلام وملتزمون بالعهد للدولة الاسلامية.

٢-رؤساء اهل الذمة في الدولة الاسلامية.

تناول متز الفرق بين زعامات فرق أهل الذمّة داخل الدولة الاسلامية وأجرى المقارنة، وأكد بوجود رئيس يمثل كل طائفة من طوائفهم في قصر الخلافة الاسلامية، أي أن اليهود والنصارى والمجوس لديهم من يمثلهم في قصر الحكومة، الا أنه بيّن هذه الرئاسة عند اليهود والمجوس وراثية تنتقل بينهم بالوراثة، وكان اولئك الرؤساء كل منهم يلقب بلقب المُلك[١٥].

ما تقدم من القول بخصوص وراثة الرئاسة يبدو انه قد استثنى منه النصارى، إذ أنه خصّ بالقول اليهود والمجوس دون النصارى.

تمتع اولئك الرؤساء الذين مثلوا أهل الذمّة في قصر الخلافة بامتيازات مهمة، سيما ما تعلق منها بالضرائب التي كان يدفعها أهل الذمّة لأولئك الرؤساء، والذين كانوا يقتسمونها مناصفة مع الحكومة، أي الرؤساء يأخذون نصف منها ويعطون النصف الآخر للحكومة كما حدث مع أهل الذمّة في الموصل الذين يدفع كل واحد منهم ديناراً، وكان نصف ما يحصل من اليهود يعطي لرئيسهم ونصفه الآخر للحكومة[١٦].

وأشار متز بأن رؤساء النصارى اختلفوا عن اليهود والمجوس في امتيازات الحصول على نصف ضريبة الذميّ، وأكد ذلك بالقول: "وكانوا [أهل الذمّة اليهود والمجوس] يدفعون الضرائب لرؤسائهم خلافاً لما كان الحال عليه بالنسبة للنصارى"[١٧].

ووضح متز ذلك من خلال كلام قاله بطريرك اليعاقبة في محل له مع الخليفة نقتطع منه التالي: "ان رؤساء المجوس واليهود حكام دنيويون، وأنه [البطريرك] هو رئيس روحي لا يستطيع الا فرض العقوبة الروحية، كان يحكم بإزالة القس والاساقفة عن مناصبهم أو بمنع العلمانيين من حضور البيعة"[١٨].

كانت لطوائف أهل الذمّة الثلاث في الدولة الاسلامية فوارق ذات جذور تاريخية معينة حسب وجهة نظر آدم متز، ويتضح من خلال توضيح الفوارق التي يراها متز أنه ينظر بعين العطف والتباكي للنصارى دون اليهود والمجوس وهذا ما سنقوم بتوضيحه من خلال قول متز الآتي: "كان بين هذه الطوائف الثلاث [اليهودية، النصرانية، المجوسية] فروق؛ فاما اليهود فانهم استطاعوا ان يستنقذوا مركزهم السياسي من خلال الاتحاد المفكك الذي كان للإمبراطورية البابلية رغم ما تعرضوا له من مخاطر وتقلبات؛ أما المجوس فهم بقية لعدو باسل مستقل لم يتم التغلب عليه في مواطنه البعيدة المنال؛ أما النصارى فقد كانوا من قبل يخضعون لحكم الساسانيين على ما يشبه حال أهل الذمّة، وكانت الظروف التي عاشوا فيها اقسى عليهم من غيرهم وأقل حفظاً لمصالحهم من اليهود أو من شعوب الولايات التي اخذت من الروم"[١٩].

النص المتقدم يوضح بشكل كبير ميل متز لأبناء طائفته من أهل الذمّة علماً ان النصارى اكثر مقبولية عند المسلمين من كلا الطائفتين الاخريين (اليهود والمجوس)، فالحيف الذي واجهوه لا يصل لمستوى كره المسلمين لليهود، وحتى العصر المعاش.

كان رؤساء كل طائفة من طوائف أهل الذمّة يحصل على كتاب عهد من الخليفة الذي يعاصره، وكتاب العهد هذا لا يختلف عن كتاب العهد التي يعهد بها لكبار العمال والمتصرفين، إذ ساق لنا متز كتاب عهد لأحد النساطرة وهو الرئيس الاكبر للنصرانية (الجاثليق) والمقصود به هو البطريرك عبد يشوع وكان يشغل منصب الجاثليق سنة ٥٣٣هـ/١١٣٩م، وكان الجاثليق يحصل على تلك الرئاسة بالانتخاب من قبل الكنيسة، ويتوّج ذلك الانتخاب الكنسي بالمصادقة عليه من قبل الخليفة الذي يعهد له، ويكون ذلك العهد بحضور أبناء طائفته الذين يعدون بذلك الحضور بمثابة الشهود على حسن سيرته حيث جاء من ذلك العهد: "ولما انهيت حالك الى امير

المؤمنين وانك مثل أهل ملتك طريقة... وحضر جماعة من النصارى الذين يرجع اليهم في استعلام سيرة امثالك..."[٢٠].

الرئيس المنتخب من قبل النصارى كان ملزماً عليه الذهاب إلى قصر الخلافة عند تعيين كل خليفة لتقديم الولاء والحصول على العهد، وهؤلاء الرؤساء يتخذون بغداد مقراً لهم الا في حالات معينة، فأشار متز إلى عام ٣٠٠هـ/٩١٢م بأن الخليفة منع بطريرك اليعاقبة من اتخاذ بغداد مقراً له[٢١].

لم يوضح متز سبب ذلك، فربما يكون الداعي لقيام الخليفة بهذا الامر هو التدخل الذي كان يقوم به المتنفذون من أهل الذمّة[٢٢].

وبالإضافة إلى الجاثليق كان أيضاً يكتب البطريق اليعاقبة عهداً هو الآخر يكتبه الخليفة، وأضاف متز بأن النصارى النوبيين كان لهم تمثيل خاص في بغداد يختلف عن غيرهم من النصارى الذميين، وبين ذلك النفوذ الذي تمتع به النوبيين من خلال حادثة ساقها متز كشاهد لقوله بخصوص تمثيلهم الخاص ببغداد تعكز عليها متز لإثبات قوله واليك الحادثة: "وقد حدث ان واحداً منهم [النصارى النوبيين] اعتنق الاسلام وكان ابن ملك النوبة ببغداد زائراً، فأمر باعتقاله وغلّه بالقيود"[٢٣].

النص المتقدم يوضح مدى النفوذ الذي تمتع به ملك النوبة تجاه النصارى النوبيين من أهل الذمّة في بغداد إلى الدرجة التي كانت صلاحياته تطال المسلمين (أهل الذمّة المعتنقين للإسلام هم مسلمون)، وتحاسبهم بقسوة، لكن هذا لا يعني ان النفوذ الذي مارسه ابن ملك النوبة يعطي خصوصية له منقطعة النظير بل هذا عكاز تعكز عليه متز يريد منه اظهار جهة خاصة من أهل الذمّة بأفضلية على غيرهم من الطوائف المناظرة، لكن بحقيقة الحال التاريخ يسجل حوادث كثيرة تدلل على أن أهل الذمّة ممن كان لهم بعض النفوذ قد تطاولوا حتى على مقامات الخلفاء وبمجالسهم وبحضور خواصّهم، والدليل على ما ذهبنا اليه من القول، أنه بأيام الخليفة الراضي(٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٤-٩٤٠م) ببغداد كثرت الشكوى من أهل الذمّة إلى الدرجة التي كتب فيها الشعراء القصائد التي احتوت ابياتها تظلم الرعية من أهل الذمّة وشكوى المسلمين منهم سيما ابن مالك النصراني الذي سام بالناس سوء العذاب[٢٤].

أما في مصر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٥-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢١م) فقد اتضح مدى سطوة وقوة أهل الذمّة، التي وصلت بهم حد التطاول على مقام الخليفة الفاطمي بشكل خاص والدولة الاسلامية بعامة، إذ ذكر النقّاش أيضاً[٢٥] نصاً لأحد الكتّاب الاقباط بموقف له أمام ارباب الدولة وخواص الخليفة وعدد كبير من أهل الذمّة بمجلس الحاكم بأمر الله، والنص يوضح مدى التطاول والأمان من الخوف بجملة فقال: "نحن مُلّاك هذه الديار حرباً وخراجاً، ملكها المسلمون منا وتغلبوا عليها وغصبوها واستملكوها من ايدينا، فنحن مهما فعلنا بالمسلمين فهو قبالة ما فعلوا بنا ولا يكون له نسبة إلى من قتل من رؤسائنا وملوكنا في أيام الفتوح، فجميع ما نأخذه من اموال المسلمين وأموال ملوكهم وخلفاءهم حِلٌّ لنا، وبعض ما نستحقه عليهم، فاذا حملنا لهم مالاً كانت المنّة لنا عليهم... فاستحسن الحاضرون من النصارى والمنافقين ما سمعوه منه واستفادوه، وعضّوا عليه

بالنواجذ"، أما في العراق فقد كان الوزير النصراني أبو العباس الفضل وزيراً للخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م) وقد تمادى بقوة نفوذه وسلطانه حتى انه لم يكن يلبي طلب الخليفة ويسمعه كلام الغليظ[٢٦].

النصوص المتقدمة دليل واضح بأن النوبيين لم يكن لهم الخصوصية، بل أن أهل الذمّة في الدولة الاسلامية بشكل عام نفوذهم متذبذب بين القوة والسطوة والحصول على الحضوة، وبين النكبة والاذلال والعزل والابعاد، وقد سجلت الحوادث التاريخية ذلك التذبذب بوضوح، إذ ان الكثير من أهل الذمّة ممن تولى منصب الوزارة[٢٧]، وربما تولى عدد منهم الوزارة لأكثر من خليفة كما هو الحال مع سليمان بن وهب الذي استوزره المهتدي[٢٨] (٢٥٥-٢٥٦هـ/٨٦٩-٨٧٠م)، وتولى الوزارة للمعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م)[٢٩]، وتولى اليهود والنصارى دواوين الجهبذة[٣٠] وتولوا بيوت المال الخاصة بالخلفاء[٣١]، وكان معظم أطباء الخلفاء من أهل الذمّة الذين اطلقت ايديهم على الخلفاء واستأمنوا على ما يصلح به صحتهم وعلت مكانتهم عند الخلفاء وأنِسوا بهم[٣٢]، كما كثرت الاماء والجواري في قصور الخلافة منذ ايام الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م)، وكُنَّ يعلّقن الصلبان، وشغفوا بهنّ حتى صرن امهات خلفاء[٣٣].

وبالمقابل عمل الخلفاء على تحجيم دور المتنفذين من اهل الذمّة والذين تطاولوا على املاك المسلمين واساءوا السيرة وخانوا الامانة، فعملوا على مصادرتهم تارة، واقصاءهم من مناصبهم أخرى، وسحب الصلاحيات منهم والتعرض لعقوبتهم أشد العقوبات وربما عمم هذا العقاب إلى رعاياهم من الذميين[٣٤].

وفي هذا المقام يمكننا القول بان شخصية الخليفة القوية والضعيفة هي التي كانت مركز الموازنة، فعلى الخليفة ان يكون منصفا عاملا تملي عليه الشريعة التي اصبح يمثلها رسميا امام رعاياه من كل الطوائف والاديان فلا اجحاف بحقوق الرعايا ولاتسامح مفرط يولد التعدّي والتطاول وفرق القانون والتشريع من قبل الرعايا الذميين وغيرهم، وحتى الخاصة والمقربين، ولا يفوتنا القول بان سياسات الخلفاء السابقين ربما كان لها الاثر على سلطان الخليفة الذي يليه، وحاشيته وخواصه هم الآخر كان لهم بكل تاكيد الاثر الواضح في سياسة الخليفة بالتعامل مع المحيط الذي يسوسه ويقوده.

وما دمنا بموضوع مقارنة متز بين رئاسات الطوائف الذميّة الثلاث وتمثيلها في مقر الدولة الاسلامية، فقد ذكر قولا بما يخص رئيس اليهود، الذي قال عنه: "ولا يتكلم المؤرخون المسلمون كثيراً عن رئيس اليهود"[٣٥]، إلا أنه لم يوضح سبب عدم ذكر المؤرخين المسلمين الا بنسبة قليلة، الا انه اعتمد بهذا المضمار مقارنة بخصوص رئيس اليهود، وكيف كان خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكيف آلت الامور المتعلقة بالشخص الذي تقلد هذا المنصب، فقال: "ويقول مؤرخو اليهود أنه [رئيس اليهود] عانى في القرن الرابع الهجري أياماً شديدة"[٣٦].

النص السابق بيّن خلاله متز قول مؤرخو اليهود عن رئيس اليهود، لكنه وبالاشارة إلى مؤرخين يهوديين اثنين مهمين، هما: بنيامين التطيلي، وبتاحيا، ذكر ان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي شهد منصب رئيس اليهود نقلة نوعية سببها ظهور خلافتين متعاصرتين أحدهما ببغداد (الخلافة العباسية)، والثانية بمصر (الخلافة الفاطمية)، كانتا على صراع عقائدي وسياسي طيلة وجودهما، الامر الذي اثر على حد زعم

المؤرخين اليهوديين على تنظيم المجتمع اليهودي، فقال متز: "ولذلك نجد ببغداد رأس الجالوت الذي لقبه المسلمون بسيدنا... ونجد في القاهرة رئيساً آخر يلقب سرهشاريم (أي امير الامراء)، وكان يعين احبار اليهود في الشام ومصر، أي من حدود مملكة الفاطميين"[٣٧]، وتدارك متز قائلاً: "ولابد ان يكون الفاطميون قد تكفلوا ايجاد هذه الطائفة الخاصة من الامراء... بالقاهرة رغبة منهم في معارضة كل ما هو بغدادي"[٣٨].

النصين السابقين يوضحان بشكل جليّ مدى فائدة اليهود من الانقسام الذي يحصل في دولة الاسلام[٣٩]؛ لأن انعكاس ذلك هو الرفع من شأن اليهود هذا من جانب، ومن الجانب الآخر يوضح قوة التناحر العقائدي والسياسي وتأثيره حتى على اليعاقبة مع مكونات المجتمع الذي يعيش على الارض الاسلامية، بما فيهم أهل الذمّة سيما اليهود منهم الذين يتربصون الدوائر بالدولة الاسلامية.

٣-طوائف أهل الذمّة وتوزيعهم الجغرافي:

انتشر أهل الذمّة في الدولة الاسلامية في مناطق عديدة، وذلك التواجد كان موزعاً بين جناحي الدولة الشرقي منها والغربي، فمع ان هناك مناطق خلت تماماً منهم، إلا أن هناك مناطق اخرى كان لهم فيها تركيز واضح، سناتي على ذكر تلك المناطق مع الاعداد التي تناقلتها المصادر في طياتها.

١-اليهـــود:

توزع اليهود في الدولة الاسلامية بأماكن عديدة ومختلفة من أرجاءها شرقيّها وغربيّها، وقد تباينت أعدادهم من مكان لآخر، إذ ازدادت كثافتهم السكانية في مناطق وانخفضت بأماكن أخرى لدرجة كبيرة جداً.

إذ قدر بنيامين التطيلي -وهو يهودي قام برحلته سنة ٥٦١هـ/١١٦٥م- أعداد اليهود في الدولة الاسلامية خلا بلاد المغرب الاسلامي بنحو (٣٠٠ الف يهودي)، الا أن ربّى بتاحيا وهو يهودي رحالة قام برحلته بعد بنيامين بعشرين عاما حسب قول متز، قدر عدد اليهود بنحو (٦٠٠,٠٠٠) في العراق فقط[٤٠].

الأرقام المذكورة سابقاً فيها تباين كبير وواضح، ولا يمكن أن يكون معدل النمو الطبيعي لليهود مضاعفاً خلال عشرين عام فقط؛ لذا يمكن القول ان الارقام المذكورة لا تعطي الاعداد الحقيقية للطائفة اليهودية سواء التي حددت شرقي الدولة الاسلامية، أو التي حددت العراق لوحده.

تناول متز معتمداً على المعلومات التي ذكرها الرحالتين اليهوديين بنيامين وبتاحيا بخصوص اعداد اليهود وأماكن تواجدهم، وأشار إلى اليهود في بلاد الشام وأفاد بأن أعدادهم تنازلت بشكل كبير جداً في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، واوعز سبب ذلك إلى الحروب الصليبية في تلك المنطقة، وان الصليبيين استهدفوا الطائفة اليهودية هناك بشكل مبالغ فيه، وعلل ذلك بالقول: "لأن السياسة التي جرت عليها القواد الصليبيين ازاء اليهود كادت تفني الطائفة الاسرائيلية"[٤١].

وثبت ما ذكره بنيامين بأن عدد اليهود في القدس بالحي اليهودي اربعة فقط، أما بتاحيا فقد بالغ في التقليل من اعدادهم بشكل واضح عندما قال أن في الحي اليهودي في القدس شخص واحد فقط[٤٢].

وبالتأكيد هذه الارقام كان من وراء ذكرها بهذه النسبة المنخفضة حد اللاوجود اظهار المأساة التي تعرض لها اليهود من قبل الصليبيين وهذا هو المنهج المتبع من قبل اليهود المبالغة والافتعال؛ والغاية من ذلك اظهارهم للعالم بانهم مستهدفين مظلومين مغلوب على أمرهم، والذي يثبت عدم دقة هذه الارقام اشارة متز في الهامش[٤٣]، بأن هناك مخطوط اطلع عليه متز ذكر ان عدد اليهود في بيت المقدس هو(٢٠٠ يهودي)، وهذا الرقم ينفي صحة الارقام التي اوردها كل من بنيامين وبتاحيا اليهوديين.

يبدو ان متز اعتمد اعتماداً كبيراً على ما كتبه بنيامين التطيلي وبتاحيا لاسيما بما يخص تاريخ اليهود، والسبب في ذلك هو عدم وجود مصادر عربية اسلامية تناولت تاريخ أهل الذمّة بشكل يستوف المعلومات، وهذا ما أكده متز بالقول: "ولا يتكلم المؤرخون المسلمون كثيراً عن رئيس اليهود"[٤٤]، كذلك أشار غنيمة[٤٥] إلى هذا المعنى بالقول: "ان المؤرخين العرب لم يذكروا الا الجزء اليسير من أخبار وطنييهم أهل الذمّة ولم يهتموا الا بتدوين ابناء الخلفاء والفتوحات وسير علمائهم وما جاء في كتبهم من تاريخ النصارى واليهود من النتف القليلة اوردوها على سبيل العرض ليس الا أو انهم ذكروها لعلاقتها بتاريخ البلاد واشتراك المسلمين بها".

النصين المتقدمين يتضح من خلالهما سبب تركيز متز على مؤرخي اليهود، سيما وأنه اعتمد مؤرخين رحالتين كانا متعاصرين تقريباً؛ لذلك كان يشير إلى الارقام التي ذكرها كمقارنة بينهما، فأشار إلى عدد اليهود بدمشق معتمداً قول بنيامين بأنهم كانوا (٣٠٠٠) يهودي، أما بتاحيا فأفاد بعدد اكبر بكثير من الرقم الأول، إذ وذكر انهم (١٠,٠٠٠) يهودي[٤٦].

استمر متز بما يتعلق بأعداد اليهود مقارناً بين ما لديه من معلومات وبين ما ما يشير اليه كل من بنيامين وبتاحيا، فعلى سبيل المثال عند ذكره لأعداد اليهود في الموصل قال انها (٧٠٠٠) يهودي، وعطف قائلاً: "وعند بتاحيا ستة آلاف"[٤٧]، وهذا الرقم هو ما ثبته بنيامين التطيلي[٤٨]، وأشار كركوش[٤٩] إلى منطقة بالقرب من اطلال بابل القديمة اسمها اليهودية يسكنها (٢٠,٠٠٠) يهودي.

اما الكوفة فقد كان عدد اليهود فيها (٧٠٠٠) يهودي، وفي البصرة (٢٠٠٠) يهودي، وعدد اليهود في جزيرة ابن عمر في العراق (٤٠٠٠)، أما مدينة حرية الواقعة إلى الشمال من العراق فان عددهم كان (١٥,٠٠٠)، أما عكبرى وواسط فكانوا قرابة (١٠,٠٠٠)[٥٠]، ومن المثير للانتباه ان عدد اليهود في بغداد يساوي (١٠٠٠) وهذا ما أثار اعجاب متز ايضاً، الا انه في الهامش اشار بأن احدى نسخ بنيامين ذكرت انهم قرابة (٤٠٠,٠٠٠)[٥١]، وأكد من خلال الارقام المذكورة بأنه كلما تقدمنا شرقاً زاد عدد اليهود، ففي همذان (٣٠,٠٠٠) يهودي، وفي اصفهان (١٥,٠٠٠) يهودي، وفي شيراز (١٠,٠٠٠) يهودي، وبغزنة (٨٠,٠٠٠) يهودي، وسمرقند (٣٠,٠٠٠) يهودي[٥٢].

يبدو ان اعداد اليهود في مصر أقل من يهود المشرق بكثير، وهذا ما أكده متز بالاعتماد على بنيامين التطيلي، فقال: "أما مصر فالأرقام التي ذكرها بنيامين أقل مما تقدم بكثير، فكان بالقاهرة سبعة آلاف، وبالإسكندرية ثلاثة آلاف، وفي الدلتا نحو ثلاثة آلاف، ونحو ستمائة في المدن التجارية بالصعيد"[٥٣]، وتعجب

متز معلقاً بهامش الصفحة[٥٤] بالقول: "ويقال انه كان بمدينة خيبر وهي مدينة صغيرة بجزيرة العرب خمسون الفا من اليهود، وهذا عجب".

الأرقام التي ذكرت في الاسطر السابقة يبدو انها لم تكن دقيقة، بل هي ارقام تقريبية، وهذا ما أكده متز الذي أشار بخصوص اعداد اليهود التي ذكرناها في الاسطر السابقة، فقال: "هذه الارقام تقريبية لأن بنيامين لم يزر المشرق"[٥٥].

الكثافة السكانية لليهود:

وضح متز المناطق التي ارتكز اليهود فيها واستوطنوها ناهيك عن الأعداد التي ذكرت سابقاً، فأشار إلى تركز سكناهم على نهري دجلة والفرات في العراق، وعقد مقارنة مع يهود المانيا الذين تركز وجودهم على نهري الراين والموزيل[٥٦].

وهذا مؤشر واضح بأنهم كانوا يتركزون بالسكنى بالقرب من مجاري الأنهار، على اعتبار ان مصدر المياه هو شريان الحياة، أو انهم كانوا يمتهنون الزراعة اضافة إلى المهن الاخرى المتعددة التي أجادوا فيها، ويمكن القول ايضا ان امكاناتهم المادية اسهمت بشكل كبير في امتلاك مناطق مهمة بالقرب من مجاري الانهار عن طريق الشراء والتملك لها.

قال متز: "أما على نهري دجلة والفرات فكان اليهود مجتمعين بكثرة... وقد كانوا كثيرين على نهر دجلة بنوع خاص"[٥٧].

كذلك اعتمد متز على بنيامين التطيلي وبتاحيا في تحديد الأماكن التي يتركز فيها تواجد اليهود، إذ قال الاخير: "وثم يهود في جميع المدن والقرى التي بين نينوى ودجلة"[٥٨].

أما في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فأشار متز إلى المدن التي تواجد اليهود فيها اكثر من غيرها من مدن العراق، فقال: "وفي القرن الرابع الهجري كان اليهود اكثر أهل مدينتي سورا[٥٩] ونهر المُلك[٦٠] من بين أجزاء العراق الاخرى"[٦١].

اعتمد متز[٦٢] عند الكتابة عن اليهود على عقد مقارنة بين أهل الذمّة في الدولة الاسلامية من حيث نِسَب التواجد، كان هذا عند حديثه عن اليهود فجعل المقياس اليهود وقارنهم من حيث الكثافة والنسبة مع النصارى والمجوس، الا ان التركيز الاكثر في هذه المقارنة كان على مدن بلاد المشرق الاسلامي، فقال: "ان بخراسان يهوداً كثيرين ونصارى قليلين، وان بالجبل يهوداً أكثر من النصارى، وكان في المشرق المدينتان الوحيدتان اللتان اطلق عليهما اسم اليهودية: احداهما قرب اصفهان والاخرى شرقي مرو... اقليم خوزستان قليل النصارى غير كثير اليهود، وبه نصارى قليل... وكذلك الحال في جزيرة العرب، فاليهود اكثر من النصارى... وهم الغالب في مدينة قُرْح[٦٣]، ثانية مدن الحجاز عمارة وتجارة"[٦٤].

النص السابق استقى متز معلوماته من المقدسي صاحب كتاب: (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم)، فأشار اليه بالقول: "ويقول المقدسي"[٦٥]، وأشار اليه مرة أخرى باللفظ: "وكذلك وجد المقدسي"[٦٦]. وهكذا بينا باختصار ما ذكره متز بخصوص اعداد اليهود وأماكن تواجدهم والتركيز السكاني اليهم.

٢-النصـــارى:

يعد النصارى العنصر المهم من المكون الاجتماعي لأهل الذمّة في الدولة الاسلامية، إذ أنهم يشكلون مناطق ارتكاز مهمة سيما في العراق ومصر، ونتناولهم فيما يأتي بحسب رؤية المستشرق متز، الذي لم يحدد أعدادهم في الدولة الاسلامية الا أنه اعطى ارقاماً تقريبية وصفها بأنها ناقصة من خلال قوله الاتي: "أما عدد النصارى فلا يمكن تعيينه الا تعييناً تقريباً ناقصاً جداً"[٦٧].

أكد متز للحصول على الارقام التقريبية للنصارى على ضريبة الجزية التي يدفعها الذميون في كل طوائفهم، فذكر بأن الذين دفعوا هذه الضريبة أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٥٣م)، بلغ (٥٠٠,٠٠٠) انسان، نصارى وغير نصارى، وذكر ان اقباط مصر الذين يدفعون الجزية في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي عددهم خمسة ملايين، من هذه الارقام استنتج متز ان عدد اقباط مصر هو خمسة عشرة مليون نسمة[٦٨].

كان مقدار الجزية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في بغداد (١٣٠,٠٠٠) درهم، أما في اوائل القرن اللاحق له، فقد بلغت (١٦٠,٠٠٠) درهم؛ لذلك قدّر متز اعدادهم بأنها تبلغ ما بين ٤٠-٥٠ الف نصراني ببغداد خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، ولم ينس متز ان ببغداد خلال هذه المدة (١٠٠٠) يهودي فأسقطه وخرج بالرقم المذكور[٦٩]، الذي وصفه بالقول: "ونستطيع ان نقول بشيء من اليقين انه كان ببغداد ما بين اربعين وخمسين الف نصراني"[٧٠].

يبدو ان الرقم الاخير الذي استنتجه متز من خلال دفع خمسة ملايين قبطي لضريبة الجزية فان عددهم هو خمسة عشر مليون؛ لأن هناك الكثير منهم أُستثنوا من دفع الجزية وهم: (الشيخ الكبير، النساء، الصبية، العبيد، المجانين، المرضى[٧١]، المساكين، العميان، الرهبان في الأديرة والصوامع)، وأشار قدامة بن جعفر[٧٢]، ان من تجب عليهم الجزية هم: الذكور المحتلمون الذين ينفصلون عن الذرية من النساء والصبيان، واشار انها تفرض على كل حالم من الرجال دون النساء، من خلال قوله: "انما اوجبت على كل من كان القتل عليه واجباً فكف بها عن قتله... انما القتل انما اوجب عليهم [الرجال المقاتلين من أهل الذمّة]... وان من مثلهم لا يقاتل فتسقط عنهم الجزية، مثل العميان، والرهبان، والزمنى وسائر من يجري مجراهم ممن لا يقاتل".

والملفت للنظر ان متز لم يتوسع بخصوص اعداد النصارى من اهل الذمّة وأماكن سكناهم وكثافتهم السكانية كما فعل مع اليهود الذين اجرى مسحاً جغرافياً لهم، بل ركز على العراق ومصر بل جعل جُل معلوماته عن العراق كما سنأتي لاحقاً، وتعليل ذلك ربما يعود لما تقدم به متز من القول: "أما عدد النصارى فلا يمكن تعيينه الا تعييناً تقريباً ناقصاً جداً"[٧٣]، وهذا دليل على ان متز لم تكن لديه معلومات كافية يستطيع من خلالها ان يفصل كالتفصيل الذي عمل بضوئه مع اليهود، اذ أن اليهود كانت المعلومات التي أفاد منها متز هي ما ذكره

الرحالتين المتعاصرين بنيامين التطيلي وربى بتاحيا، فاتكأ متز عليهما اتكاءاً كبيراً، الا أنه تعكّز على جداول ضريبة الجزية والارقام المذكورة بهذا الخصوص بشأن النصارى من أهل الذمّة.

الكثافة السكانية للنصارى.

وعند حديث متز عن النصارى أشار إلى ان تواجد النصارى بشكل كبير في العراق كان بمدينتين مهمتين ذكرهما بالقول: "والمدينتان الوحيدتان فيما بين الفرات ودجلة اللتان يقول ابن حوقل ان اكثر اهلها نصارى هما الرُها وتكريت؛ ويقول عن تكريت انها مدينة قديمة البناء، وتجمع سائر فرق النصارى"[٧٤].

قدّم متز معلومات مهمة عن مناطق تواجد النصارى لكن ليس في المكان الذي تناول فيه النصارى، بل هذه المعلومات ثبتها عند حديثه عن اليهود والمقارنة التي أجراها بخصوص أي اصناف أهل الذمّة تركيزا أكثر من غيرها بمدن معينة؛ لذلك يمكن من خلال هذا تحديد مناطق اخرى لتواجد النصارى في الدولة الاسلامية، فمثلاً في خوزستان[٧٥] كان عدد قليل من النصارى، وفي بلاد فارس أيضاً يوجد عدد قليل من النصارى[٧٦]. هذا ما يتعلق وبإيجاز بتواجد النصارى في الدولة الاسلامية في كتاب متز قيد الدراسة.

٣-المجوس:

تناول متز في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أهل الذمّة مركزاً على ان الذميين هم: (اليهود والنصارى) في صفحات عديدة من الكتاب[٧٧]، لكنه أشار أيضاً إلى المجوس بأكثر من مكان وكذلك الصابئة، فعند ذكره لأماكن تركز وجود اهل الذمّة أشار إلى المجوس والصابئة[٧٨]، لكنه في مكان آخر من كتابه المذكور[٧٩] أشار إلى المجوس وذكر معلومة بخصوصهم اوجبت منا الرد عليها لأنها ليس دقيقة بحسب وجهة نظرنا، إذ أنه من خلال كلامه أراد القول بأن المجوس قبل القرن الرابع الهجري لم يكن الاسلام قد حكم فيهم بأنهم من أهل الذمّة، بل أثناء القرن الرابع الهجري فقط اقروا بأنهم أهل ذمة، ويتضح ذلك من خلال قوله الآتي: "وفي أثناء القرن الرابع الهجري اعترف للمجوس بأنهم أهل ذمة إلى جانب اليهود والنصارى"[٨٠].

إلا أن هذا الكلام مردود عليه، إذ أن المجوس اعترف بذمتهم وأنهم أهل كتاب سماوي، فأشار البيهقي[٨١] في باب خاص أسماه بـــ: (باب المجوس أهل كتاب).

كذلك الصنعاني[٨٢] تقدم البيهقي، فقال: "كان المجوس أهل كتاب يعرفونه، وعلم يدرسونه..."، وأشار إلى ذلك الجصاص[٨٣] وابن عبد البر[٨٤] ذكرهم بالقول: "في قوله (ﷺ) سَنّوا بهم [المجوس] سنة أهل الكتاب"، وقال ابن قدامة[٨٥] بهذا الخصوص: "وسنوا بهم سنة أهل الكتاب أي في أخذ الجزية منهم".

وما يؤكد أخذ رسول الله (ﷺ) الجزية من المجوس نصاً ساقه قدامة بن جعفر[٨٦]، فقال: "لما بلغ أهل اليمن ظهور رسول الله (ﷺ) اتته وفودهم فَكَتَبَ لهم كتاباً... وقَبَضَ صدقاتهم وجزية رؤوس من أقام على النصرانية واليهودية والمجوس منهم"، وأشار قدامة بن جعفر[٨٧] في مكان آخر من كتابه بخصوص أخذ النبي (ﷺ) الجزية من المجوس فقال: "وأما المجوس فأن رسول الله (ﷺ) قبل الجزية من مجوس هجر[٨٨]... وطلبها

خالد بن الوليد (٢١هـ/٦٤٢م)، من أهل العراق... وقبلها عمر بن الخطاب ١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م، بعد ذلك فهم وقبلها أيضاً عثمان بن عفان ٢٣-٣٥هـ [٦٤٣-٦٥٥م] بعده منهم ومن البربر وكانوا مجوساً...".

مَثّل المجوس صنف من أصناف أهل الذمّة في الدولة الاسلامية وقد وضحنا سابقا كيف انهم جزء لا يتجزأ من مكونات المجتمع الذمي داخل الدولة الاسلامية، وهنا نبيّن اماكن وجودهم، إذ ان تركيزهم الاكبر في بلاد المشرق الاسلامي، حيث تواجد الديانة المجوسية هناك قبل الاسلام، لاسيما مدينة شيراز التي شهدت حوادث فتن بين المسلمين والمجوس، فتعرضت بيوت المجوس فيها للنهب، كذلك تعرضت حياتهم للخطر حيث هرب الكثير منهم في تلك الفتنة، كما أشار متز إلى المفازة الواقعة إلى الشرق من بلاد فارس، وذكر ان فيها مدينة القرينين[٨٩] وأن أهلها من المجوس، وذكر المقدسي أن بإقليم خوزستان[٩٠] المجوس اكثر من اليهود والنصارى، كذلك في بلاد فارس المجوس يشكلون النسبة الاكثر من طوائف اهل الذمّة[٩١]، وقال ان المجوس في العراق كثيرين[٩٢].

شكّلت معلومات متز ذات العلاقة بالمجوس نسبة قليلة مقارنة مع اليهود والنصارى، وهذا بالتاكيد له علاقة بقلّة اعدادهم مقارنة بغيرهم، زِد على ذلك الحوادث التاريخية التي اشترك فيها المجوس كانت هي الاخرى شحيحة وقليلة بالمقارنة مع اليهود والنصارى الذين كان لهم حظور واضح في مجرى الحوادث، وبمجالات متعددة.

٤-الصـــابئة٩٣:

كان وجود اتباع هذه الديانة بشكل مركز بمدينة حران، وأشار متز ان اتباع هذه الديانة كان عصر ازدهارهم أيام خلافة الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م)، حتى وصف صابئة حران في أيامه، بالقول: "عاد شأن الوثنية بحرّان إلى الظهور، وقيّدت الثيران في جميع الشوارع مزينة بغالي الثياب والورود والرياحين وبالأجراس على قرونها، وسار خلفها الرجال بالمزامير"[٩٤].

النص السابق يوضح ان الصابئة كان مركزهم الديني هو مدينة حرّان، وانهم نالوا حرية كبيرة أيام الخليفة الامين، إلى الدرجة التي مارسوا فيها احتفالاتهم الاجتماعية واعيادهم الدينية بطقوسها الوثنية المذكورة سابقا وبكل حرية، كما يتضح من النص ان تركيز تواجدهم بالدرجة الاساس هو مدينة حران.

وساق متز نصاً بخصوص استفتاء محتسب بغداد بشأنهم، فأفتى بنقلهم؛ لأنهم حسب قوله يعبدون الكواكب وانهم ليسوا موحدين كاليهود والنصارى، وعزم الخليفة اثر تلك الفتوى على قتلهم، الا انهم افتدوا انفسهم بمال كثير فعفى عنهم، كان ذلك ضمن حوادث سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م[٩٥].

كما يمكن الاعتماد على منشور صدر من الخليفة في منتصف القرن الرابع الهجري في تحديد أماكن تواجد الصابئة وتوزيعهم الجغرافي، إذ أن المنشور المذكور كتب للصابئة المتواجدين في عدة مدن يأمر به الخليفة بالاهتمام بهم، فقال متز: "كتب للصابئين المقيمين بحرّان والرقة، وديار مضر، أمر فيه الخليفة

بصيانتهم وحراستهم"[٩٦]، وهذا المنشور بين أماكن وجودهم والمناطق التي يسكنونها ويمارسون حياتهم الاجتماعية فيها.

والجدير بالذكر ان متز نقل عن ابن حزم الاندلسي معلومة غاية بالأهمية بخصوصهم أحالها للسنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، قال فيها: "ولكنهم [الصابئة] انقرضوا حوالي عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م حتى ان ابن حزم يقول انهم من جميع الارض لا يبلغون اربعين نفساً"[٩٧].

النص المتقدم الذي أفاد به متز بأنهم انقرضوا، وعزز قوله بما ذكره ابن حزم حول عدم تجاوز عددهم في كل الارض على اربعين نفس، يدلل على قلة تواجدهم وربما بالفعل عدم وجودهم.

المبحث الثاني- الانشطة الاجتماعية المميزة لأهل الذمة عند متز

مارس اهل الذمة انشطة اجتماعية متعددة كان الاثر الواضح في تمييزهم عن غيرهم، من مكونات المجتمع الاسلامي الذي عاشوا في ظلّه، وهذه الانشطة منها ما فرض عليهم فرضا العمل فيها والالتزام بها، وغيرها كانوا مخيرين في العمل بضوءها في اوقات معينة، وباوقات اخرى وبحسب ظروف قاهرة كان يفرض عليهم الالتزام بها والعمل في ضوءها، ومن الاشياء التي ميّزوا من خلالها، هي:

١- ملابس أهل الذمّة:

فرضت الدولة الإسلامية على أهل الذمّة ارتداء ملابس معينة تمييزا لهم عن المسلمين، أو على الاقل وضع علامات متعارف عليها لتمييزهم، وقد اختلفت ألوان بعض الملابس بين طائفة واخرى عند الرجال والنساء، بل حتى أصحاب المناصب منهم تميزوا بملابس معينة عن غيرهممن ابناء دينهم، والجدير بالذكر انهم لم يكونوا يلتزمون بشكل دائم بارتداء هذه الملابس، ووضع العلامات المميّزة لهم، بل يمكننا القول انهم يلبسونها فقط في الاوقات التي يحدث فيها تشدد على لبسها، وفيما يلي نتناول هذه الملابس المميزة لهم.

حددت الدولة الاسلامية تعليمات خاصة بملابس أهل الذمّة، ففي أيام حكم الخليفة هارون (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م)، أُمر اهل الذمّة في مدينة بغداد بلبس ملابس خاصة تخالف ملابس المسلمين، كان ذلك سنة ١٩١هـ/٨٠٧م، وبهذا الخصوص قال متز: "فاخذوا [أهل الذمّة] بأن يجعلو في اوساطهم الزنّارات مثل الخيط، وبأن تكون قلانسهم مضربة، وان يجعلوا شِراك نعالهم مثنيّة..."[٩٨].

الكلام السابق يتضح من خلاله ان هذا اللباس مفروض على جميع مكونات مجتمع أهل الذمّة، وهذا اللباس فرض على الذمي ان يتميز به، الا ان هذه التعليمات لا يُلتزم بها دائماً، بل على الاعم الاغلب لا يُلزم بها الذمي الا في اوقات معينة تتأزم بها العلاقة بين أهل الذمّة والمسلمين، ففي عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٩٤٤-٩٥٨م) امر بأن يلبس اهل الذمّة طيالس[٩٩]، جمع طيلسان لونها عسلي تميزاً لهم عن المسلمين، ومن رغب منهم لبس قلنسوة المسلمين فعليه ان يجعل عليها رزّين (شريطين)، وعلى اهل الذمّة ان يميزوا عبيدهم بأن يضعوا على ظاهر ملابسهم رقعتين من القماش لونها يخالف لون الملابس الظاهرية، وهتين الرقعتين احداهما على الصدر والاخرى على الكتف، على ان تكون كل رقعة منهما بمقدار اربعة اصابع

وعسلية اللون، وان لا يلبس مماليكهم المناطق (الاحزمة)، بل عليهم لبس الزنانير[١٠٠]، كان ذلك سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م[١٠١].

وما يؤكد ان هذه الاجراءات كانت فعاليتها مؤقتة ما قاله متز بهذا الخصوص: "وقبل اول القرن الرابع بأربع سنين عادت القوانين الخاصة باللباس إلى الظهور، وشدد في أمرها، ثم لم نسمع عن مثلها شيئاً في القرن الرابع كله، فقد نامت ولم تطهر الا عندما قوى امر أهل السنة في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي حيث عادت بشكل جدي"[١٠٢].

سجلت حوادث سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م أمر بتوقيع الخليفة يلزم به أهل الذمّة بلبس ملابس تميزهم عن المسلمين، وبُلّغ بذلك زعمائهم من اليهود والنصارى امام جمع كبير من وجهاء الدولة ومسؤوليها، وأجابوا بالسمع والطاعة[١٠٣].

كذلك في مصر أيام الفاطميين أمر الخليفة الفاطمي بتفعيل قانون اللباس لأهل الذمّة، على اثر فتنة حدثت ايام الحاكم بأمر الله الفاطمي، وأصدر أوامره بهذا الخصوص سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م[١٠٤]، ولكن من خلال الحوادث التاريخية يظهر ان الحاكم بأمر الله الفاطمي تراجع عن هذا القرار وخفف عنه، ولم يبق من الملابس الملزم الا لبس الزنار أو العمامة السوداء، ومنذ ذلك الوقت حسب ما يشير متز اصبح النصارى يلبسون العمامة السوداء[١٠٥].

وحدث في مصر الاسلامية ان حددت الوان العمائم، لكل فئة من فئات المجتمع الذمي، فالنصارى حدد لهم اللون الازرق أما عمائم اليهود باللون الاصفر، والسامرة اللون الاحمر، كان هذا ايام المماليك.

وقد اختصت كل فئة من فئات المجتمع الذمي بلباس معين، فعلى سبل المثال فأن اليهود خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي كانوا يلبسون على رؤوسهم براطيل[١٠٦] طويلة، وهي لباس الرأس عند اليهود، وقيل انها من المشرق تعد جزءاً من ابهة رئيس اليهود، اما المسيحيون فقد لبسوا البرانس على الرؤوس، ثم فيما بعد قلدوا المسلمين فلبسوا القلانس الطويلة، واصبحت من لباس الرأس الخاص بالنصارى[١٠٧].

أما ما يتعلق في ملابس أهل الذمّة التي يلبسونها في مناسباتهم، فقد أشار متز إلى اهتمامهم الخاص بالثياب الجميلة الالوان وغالية الثمن، سيما في الاعياد والمناسبات الخاصة بهم، فقد كانوا يحرصون على الاهتمام بهذا الجانب كثيراً، فعلى سبيل المثال في عيد الشعانين[١٠٨] كان النصارى الذين يعملون في قصور الخلافة ببغداد سيما الجواري منهم يحرصن على الظهور بأحسن المظاهر، فقال متز: "كانت الوصائف في يوم أحد الشعانين في قصر الخلافة ببغداد، مزينات في ثياب جميلة غالية، وفي اعناقهم صلبان من الذهب..."[١٠٩].

كذلك في عيد القديسة اشموني[١١٠]، فان النصارى يظهرون متنافسين في زينتهم وملابسهم[١١١]، وبليلة عيد الغطاس[١١٢] وصفهم متز بالقول: "ويظهرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس، وآلات الذهب والفضة والجواهر"[١١٣].

اما في عيد الزيتون، فكانت العائدة السائدة والمتبعة عند النصارى هي لبس الثياب ذات اللون الابيض بهذه المناسبة، ويعد هذا اللون من الملابس عندهم خاصاً بهذه المناسبة [١١٤].

ويوافق عيد النيروز أول فصل الشتاء، يقوم به أهل الذمّة بتغيير الملابس الصيفية إلى ملابس تتناسب مع الفصل الجديد للسنة، وكذلك يعمل عامة الناس[١١٥].

وقد اختصت بعض المهن بملابس تميز اصحابها المحترفين لها، سيما عند أهل الذمّة، تميزهم عن غيرهم عن طريق علامات ودلائل معينة، فعلى سبيل المثال في العراق خلال العصور الاسلامية لا يعمل بالخمر الا اهل الذمّة الذين كانوا يمتهنون هذه المهنة فقط، وقد اقتبس متز نصاً بهذا الخصوص، فقال: "ومن تمام آلة الخمّار ان يكون ذمياً... ويكون ارقط الثياب"[١١٦].

وعندما تحدث عن سوق الشماعين في مصر، الذي يقصده عدد كبير من الناس، إذ أن به بغايا من أهل الذمّة يجلسن حتى وقت متأخر من الليل، وصفهن متز، بالقول: "وكان يجلس فيه [سوق الشماعين] في الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين، لهن سيما يعرفن بها، وهي لبس الملآت الطرح وفي ارجلهن سراويل من اديم احمر، وكنّ يعانين الدعارة"[١١٧].

ولبس جاثليق اليهود البُرطلّة في مصر وفي بغداد والمشرق الاسلامي ايضاً، ولبس رئيس النصارى الطليسان الطويلة تميزاً له[١١٨]، ولبس الصابئة لباس بلون خاص بهم تميزوا فيه عن غيرهم من مكونات المجتمع الذمي[١١٩].

٢-العلامات المميزة لأهل الذمّة:

ميزت الدولة الاسلامية أهل الذمّة عن المسلمين بعلامات اخرى غير الملابس التي اشرنا إلى علاماتها وألوانها المميزة لهم ظاهراً عن المسلمين، لكن هناك علامات فرض على أهل الذمّة ان يوسموا بها دون غيرهم، ونتناول امثلة على ذلك مما اشار اليها متز، ونوردها هنا باعتبارها جزء من حياة المجتمع الذمي، فعلى سبيل المثال كان أهل الذمّة تختم ايديهم بختم خاص، وكان من علامة البراءة عندما يدفع الذمي ما عليه من ضريبة فانه يتم تعليق ما يسمى بـ: (علامة البراءة) برقبته، وهي دلالة على استيفاءه ما بذمته من ضرائب، وحرصت الدولة الاسلامية على هذا الجانب، وعملت على ارسال موظف خاص يرافق جباة الضرائب يختم أهل الذمّة كل باسمه واسم القرية والاقليم الذي يعيش فيه، والختم عبارة عن طبع يطبع به، يكتب على يده اليمنى اسم البلد واليسرى الإقليم، وتثبت عنده بيانات كاملة بسجلات لدى اولئك العمال فيها أوصافه الجسدية ومحل سكناه، ولا نجد أحداً من اهل الذمّة الا وثبتت عنه البيانات وتُعلّق برقابهم علامة البراءة ويختمون ايديهم، وقد وصف احد الشعراء تعلقه بحبيبته، كما تعلق البراءة بأعناق أهل الذمّة، فقال:

ختم الحب لها في عنقي موضع الخاتم من أهل الذمم[١٢٠]

وبما يتعلق بعلاقة الختم المميزة اورد متز نصاً على الجاحظ ٢٥٥هـ/٨٦٩م قال: "ان من تمام آلة الخمار ان يكون ذمياً مختوم العنق"[١٢١].

ومن العلامات المميزة لأهل الذمّة بأن لا يسمح لهم بامتطاء وركوب الخيول والبراذين[١٢٢]، بل عليهم ركوب البغال والحُمر وحسب، وهذا القرار صدر عن الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)، وكان تاريخ اصداره سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م[١٢٣].

الا ان هذه الاجراءات كانت مؤقتة ولم يستمر العمل بها، والدليل على ذلك هو ما تمكن منه اهل الذمّة بتسلق المناصب وتسلمها إلى الدرجة التي يتسلط بها الذمي ويتسلمون منصب الكتابة ومنصب الوزارة[١٢٤]، فهل يعقل مع هذا ان يبقى هذا القرار فعالاً، وان كان فعالاً فهو لا يشمل كل طبقات المجتمع الذمي.

وفيما يتعلق ببيوت أهل الذمّة فهي الأخرى عدت علامة من علامات التمييز بينها وبين بيوت المسلمين، اذ الزم اهل الذمّة بالتزامات بهذا الخصوص، ومنها منعهم من رفع البيوت التي يسكنونها على بيوت المسلمين، ويبدو حسب ما ذكر متز ان هذا الاجراء مستحدثة خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، فقال: "وظهر من هذا العصر لأول مرة منع أهل الذمّة من تعلية بيوتهم على ابنية المسلمين؛ فان ملكوا بيوتاً عالية اقروا عليها، ومنعوا من الاشراف منها على المسلمين..."[١٢٥].

أشار متز إلى الماوردي (ت:٤٥٠هـ/١٠٥٨م) صاحب كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، بأنه اول من أشار إلى ذلك، وأفاد متز بأن هذه الفكرة قد سرت إلى الغرب حتى ان أحد البابوات تذمر من اليهود الذين بنو كنيس لهم اعلى من كنيسة النصارى المجاورة له[١٢٦].

أضف إلى ذلك امر المتوكل بأن يتميز ابواب بيوت اهل الذمّة بعلامات تميزهم عن أبواب بيوت المسلمين، فقال متز بهذا الصدد: "ان يجعل على ابواب دورهم صور شياطين من خشب تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين"[١٢٧].

٣-موقف اهل الذمة من الذميين المتحولين الى الاسلام.

تحدث آدم متز عن الطوائف الدينية الثلاث (اليهودية، المسيحية، الاسلام)، وذكر بأنها منفصلة تماماً بعضها عن البعض، وقد ركز على أهل الذمّة الذين يعتنقون الإسلام، فقال: "وكان المسلم [الذمي الذي يعتنق الاسلام] اذا ارتد عن الاسلام عوقب بالقتل"[١٢٨].

وقد أجرى مقارنة بهذا الخصوص بين التشريع الاسلامي وبين قانون الدولة البيزنطية، فقال: "كما ان قانون الدولة البوزنطية [البيزنطية] كان يقضي بقتل المسيحي إذا هو غيّر دينه"[١٢٩].

ولابد من القول هنا بأن آدم متز عندما تناول حكم الذمي الذي اعتنق الاسلام ثم ارتد هو: (القتل)[١٣٠]، اعطى شواهد عديدة حدثت بهذا الخصوص، لكنه أشار إلى مسألة يفهم من خلالها أنه يريد القول بأن الذين يعتنقون الاسلام من أهل الذمّة لم يعتنقوه بعقيدة صادقة بل كان تركهم للمسيحية لغرض الحماية جرّاء ذنب قد اقترفوه، أو تحقيق هدف معين، اذ اشار إلى اشخاص كانوا يتولون مناصب معينة وحدثت مواقف ادانة استحقوا عليها عقوبة بحسب العرف السائد، ولكي يجنبون انفسهم تلك العقوبة أو يحمون انفسهم من التهم الموجهة اليهم فقد اعتنقوا الاسلام الذي فيه لا يمكن ان يطالهم قانون وتشريع مع أهل الذمّة[١٣١]، وما يؤيد قولي بخصوص

النماذج لتي اشار اليها متز نقتطف النصوص الاتية: "في اواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)[١٣٢] اتهم رئيس الاساقفة النسطوريين[١٣٣] بمدينة مرو[١٣٤] باللواط[١٣٥] اتهاماً علنياً، فاعتنق الاسلام، وكان يحط من شأن المسلمين لدى البلاط"[١٣٦].

ومن تهمة اللواط إلى تهمة الزنا يشير متز إلى أنموذجين من رجال الدين النصارى اعتنقا الاسلام على اثر ثبوت هذه التهمة عليهم، فقال: "وحوالي عام ٣٦٠هـ/٩٨٠م اعتنق اسقف اذربيجان الاسلام بعد ان قبض عليه يزني بامرأة مسلمة... وفي سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م هدد رئيس اساقفة تكريت بالخلع بسبب ارتكابه للزنا فدخل الاسلام وتسمى بابي مسلم، وتزوج كثيراً من النساء"[١٣٧].

النصين المتقدمين أشار فيهما متز إلى رجال دين ذميين اعتنقوا الاسلام هروباً من العقاب بعد أن ثبت عليهم متهمين (اللواط والزِنا)، أي أنهم لم يعتنقوا الاسلام رغبة بل خلاصاً من أحكام الشريعة العيساوية، أي أنه لا يريد ان يقول بأن هناك من اعتنق الاسلام من النصارى برغبة صادقة وعقيدة اخلاص ثابتة بالدين الاسلامي، وما يعزز قولي هذا هو ان متز وضّح خلال كلامه عنهم بأنهم عند اعتناقهم الاسلام لم يحصلوا على ما كانوا عليه عندما كانوا على المسيحية، فقال بخصوص أسقف مدينة تكريت القول الآتي: "ويحكى المؤرخون المسيحيون مسرورين انه لم ينل التشريف عند الخلفاء ما كان يناله وهو رئيس لأبناء دينه، وانه في آخر حياته كان يعيش من التكفف"[١٣٨].

كما ان متز يحاول ان يبين بأن عددا منهم كان يسعى وراء ملاذّه وشهواته فعند كلامه عن رئيس اساقفة تكريت نفسه الذي قبض عليه يزني بامرأة مسلمة على حد اشارة متز فانه باعتناقه الاسلام تمكن من اشباع رغباته، ولوح لذلك من خلال قوله: "وتزوج كثيراً من النساء"[١٣٩]، وهو بهذا القول يريد الربط بين الفعل الذي من أجله هدد بالخلع وهو الزنى الذي بسببه اعتنق الاسلام هرباً من الحساب[١٤٠]، وعلى هذه التهمة، وقد اشبع رغباته بأن تزوج كثيرات لأن المسيحية لا تبيح تعدد الزوجات.

وأورد متز قصة خلع أحد الاساقفة الا ان هذه المرة اختار الانموذج من الاندلس، وهو اسقف مدينة البيرة[١٤١] الذي قال عنه متز: "وكذلك في الاندلس خُلع احد الاساقفة الكبار... أسقف مدينة البيرا Elvira لسوء سيرته، فاعتنق الإسلام"[١٤٢].

النصوص المتقدمة اراد متز منها وبشكل غير مباشر القول بأن الذين غادروا المسيحية واعتنقوا الاسلام هم أناس سيئون عند المسيحية ارتكبوا فِعال مشينة، بدليل أقواله: "اتهم رئيس الاساقفة باللواط، وقوله قبض عليه يزني، هدد رئيس اساقفة بالخلع، وخلع احد الاساقفة لسوء سيرته"، هذه الالفاظ اشارة واضحة منه بأن اولئك الخارجين عن دين المسيحية إلى الاسلام هم أشخاص غير مرغوب فيهم عند اهل ديانتهم.

من خلال اكتفاء متز بالاشارة إلى هذه النماذج من الذين اعتنقوا الاسلام، مع وجود الكثير من رجال دين ذميين اختاروا الدين الاسلامي وفضلوه معتنقين اياه عن رغبة وليس هروباً من حساب على جريمة أو خطأ ارتكبوه فدخلوا الاسلام ليخلّصوا انفسهم من طائلة العقاب والتعذيب.

ولتحقيق حياديته في الكتابة التاريخية كان عليه ان يوازن بذكر نماذج اخرى وهي موجودة في المصادر التي اطلع عليها هعو نفسه، حتى لا نلتمس اليه العذر ونقول لعله لم يطلع على مصادر اشارت لمثل هكذا نماذج، ومن ذلك يمكننا ان نطلق حكمنا من خلال هذه المسألة بأنه كان ينوه ويشكل خفي ان الذين دخلوا الدين الاسلامي لم يقدموا عليه عن عقيدة صادقة بل لأجل الحصول على الحماية والتخلص من عقوبة أو قصاص.

القارئ المدقق المتفحص يستنتج بأن متز يحاول بصورة غير مباشرة ان يعطي الديانة المسيحية اولوية على الدين الاسلامي وافضلية، وعمل على اخفاء حقائق معينة ليس غفلة منه بل عن قصد، وعند والتركيز على معلومات الغاية منها ابراز الجانب السلبي وجعله المنهج السائد، اراد متز اعطاء مقارنة بين المواقف السابقة التي تناولناها عن كبار رجال الدين ارتكبوا خطيئة يعاقبون عليها فامتحنوا بالإسلام، وبين ذميين اعتنقوا الاسلام وارتدوا، فكأنه يريد التلويح من بعيد بأن الذين اعتنقوا الاسلام وتعرفوا على حقيقته ارتدّوا عنه مصرّين للرجوع ال ديانتهم الاولى التي تركوها فندموا على تركها وارتدّوا عن الاسلام مفضلين دينهم الاول، واشار الى تلقيهم صنوف العذاب ومع ذلك لم يتراجعوا عن موقفهم وابوا الاّ الرجوع الى دينهم الاول، ومن جانب آخر ركز القول بأن عمر احدهم تجاوز الثمانين اشارة منه من بعيد بأن الدين الاسلامي لا يراعي الجوانب الانسانية، فأشار إلى حوادث لا نقول عنها غير صحيحة بل نقول هي الاقل حدوثاً، فنجده يدرج حادثتين عن ارتداد نصارى قد اسلموا ثم ارتدوا عن الاسلام احداهما حدثت في بلدة سروج بالعراق، والاخرى في مصر الفاطمية، الاولى في القرن الثالث الهجري، والثانية في القرن الرابع الهجري، واليك النصين الآتين اللذين اتكأ عليهما متز بهذا الخصوص، فقال: "وقد حدث في اوائل عهد الفاطميين انه: رفع إلى محمد بن النعمان القاضي (٣٤٥– ٣٨٩هـ/٩٥٦-٩٩٨م) ان نصرانياً اسلم، ثم ارتد، وقد تجاوز الثمانين فاستتيب فأبى، فأنهى امره إلى العزيز، فسلمه لوالي الشرطة، وارسل إلى القاضي ان يرسل اربعة من الشهود ليستتيبوه، فان ضمن له عنه مائة دينار، وان اصر فليقتل؛ فعرض عليه الاسلام فأبى فقتل، ثم أمر بتغريقه في النيل"[١٤٣].

٤- اهل الذمة وموقفهم من الـــــتزاوج مع المسلمين:

تناول متز موضوع الزواج، وبيّن موقف القانون الكنسي المسيحي، فقال: "ولم يكن ثم تزاوج بين المسلمين وغير المسلمين، وذلك لأن القانون المسيحي لم يكن يجيز للمرأة النصرانية ان تتزوج بغير نصراني، لئلا تنتقل هي واولادها إلى غير مذهب، ولا كان يجوز لنصراني بحسب قانون الكنيسة ان يتزوج بغير نصرانية الاّ رجاء ادخالها وأولادها إلى النصرانية"[١٤٤].

النص المتقدم أوضح بشكل جلي موقف القانون الكنسي من الاقتران مع الديانات الاخرى لكلا الجنسين، وقد حدد الثوابت والاسباب التي تدعو إلى الثبات على الدين المسيحي فالمرأة النصرانية لا يحق لها بتاتاً التزوج بغير النصراني والسبب اوضحه متز بقوله السابق: "لئلا تذهب هي وأولادها إلى غير مذهب" ، والرجل النصراني لا يحق له التزوج بغير النصرانية، وان حدث ذلك فهو مشروط والشرط هو ما حدده متز في النص المتقدم، بقوله: "الاّ رجاء ادخالها وأولادها إلى النصرانية"، فالهدف الاسمى عندهم كما يتضح هو الدين

والعقيدة، ثم اردف قائلاً: "أما زواج المسيحي من مسلمة فكان مستحيلاً"[١٤٥]، فالاستحالة في النص المتقدم خصّت زواج المسيحي بالمسلمة دون غيرها من باقي الملل والنحل، ومن هنا يمكن القول بأن متز عند الاشارة إلى القانون الكنسي في النصوص التي مر ذكرها المتعلقة بزواج النصراني: "الاّ رجاء ادخالها وأولادها في النصرانية"، فأن هذا لا يشمل المرأة المسلمة لأنه تدارك وقال: "أما زواج المسيحي من مسلمة فكان مستحيلاً"، وكان القول الاول اراد به مرأة غير مسلمة اذ كان الرجاء من الاقتران بها هو ادخالها هي وأولادها في النصرانية فهو جائز، طبعاً خلا المرأة المسلمة التي يستحيل زواج المسيحيّ منها، والاستحالة هنا ربما يقصد بها ليس ترفّع المسيحي عن الزواج بالمسلمة، بل لان المسلمين يرفضون قطعيا تزويج بناتهم لنصراني الا اذا اعتنق الاسلام واصبح من المسلمين.

ويمكن ارجاع سبب ذلك التشريع الكنسي الذي عدّه متز مستحيلاً إلى التشريع الاسلامي والذي ذكره متز بكتابه قيد الدراسة بخصوص تغيير الدين والانتقال من مسلة إلى اخرى، فقال: "ولا يكون تغيير الدين الا اذا كان ذلك دخولاً في الاسلام"[١٤٦]، ولم يغفل متز التشريع الاسلامي بخصوص أهل الذمّة والذي عده حفاظ الكيان الخاص لديانات أهل الذمّة، والذي يتضح من خلال القول التالي له: "كان في الدولة الاسلامية ما يضمن كل ديانة من ديانات اهل الذمّة كيانها الخاص، فكان لا يجوز للمسيحي ان يتهود ولا لليهودي ان يتنصر"[١٤٧].

ربط متز موضوع التزاوج بين أهل الديانات بموضوع المواريث، موضحاً ان لا أحد من أهل الملل الثلاث (اليهودية، والنصرانية، والاسلام) يرث شخصاً من غير ملته، فقال: "ولم يكن النصراني يرث اليهودي ولا العكس، كما لم يكن اليهودي أو النصراني يرث المسلم ولا المسلم غير المسلم يهودياً كان أو نصرانياً"[١٤٨].

وأثار في مكان آخر أرخه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، بأن الخليفة أمر بالتخلية بين الصابئين وغيرهم (أهل الذمّة) وبين مواريثهم، وأنه (الخليفة) يرى في مواريثهم رأي النبي (ﷺ)[١٤٩]، وعزز متز ذلك بحديث النبي(ﷺ) الذي قال فيه: "لا يتوارث أهل ملتين"[١٥٠].

عزز متز موضوع مواريث أهل الذمّة والمسلمين بكتاب المواريث الذي أصدره الخليفة المقتدر سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، والذي بيّن فيه الكيفية التي تكون عليها المواريث ومن جملة ما قال: "تُرَدّ تركة من مات من أهل الذمّة، ولم يُخلِف وارثاً على أهل ملته"[١٥١].

الذي يقرأ إشارة متز إلى كتاب المواريث المذكور، يفهم ان الدولة الاسلامية كانت قبل هذا الكتاب تأخذ ميراث الذمي الذي لا وارث له بعد وفاته، وتضمه إلى بيت مال المسلمين، وهذا الكتاب قد عدّل من الحكم، لكن واقع الحال ان ما ذكره المقتدر هو الذي كان معمولاً به، وهذا ما وضحه مترجم كتاب آدم متز بهامش الصفحة، إذ بيّن ان هذا رأي عدد من الصحابة[١٥٢]، وبالتأكيد يعني هو رأي النبي أيضاً[١٥٣].

٥- الاحتفالات الدينية لأهل الذمة ومشاركة المسلمين فيها:

افرد متز الفصل الثالث والعشرين من كتابه، وعنونه بعنوان: (الاعيـــــاد)[١٥٤]، وكان يفترض به ان يتناول الاعياد الاسلامية بشكل دقيق، مع عدم اغفال اعياد اهل الذمة الدينية، لأن عنوان كتابه هو: (نهضة

الاسلام)، الا ان ما قام به هو العكس تماماً، فكان مجموع ما تناوله عن اعياد اهل الذمة هو: (١٧ صفحة)[١٥٥]، أما الاعياد الاسلامية فقد تناولها بالصفحتين الاخيريتين من الفصل[١٥٦].

وقد بالغ كثيراً في تناوله لأعياد النصارى دون اليهود من اهل الذمة، وربما يكون الدافع في ذلك اسباب عدة، هي:

١- انه كان مسيحياً من النصارى، فدفعته الى ذلك توجهاته الدينية التي ينتمي اليها.
٢- كانت له معرفة ودراية بأعياد النصارى كونه مسيحياً؛ لهذا السبب ركّز على الاعياد المسيحية دون اليهودية.
٣- انغلاق اليهود على أنفسهم جعل من العسر التعرف على طقوسهم، مقارنة بالطقوس المسيحية.

هذه الاسباب وربما هناك اسباب اخرى غيرها ادت به إلى ان يتوسع في تناوله للأعياد المسيحية بشكل مفصل وموسع.

وكانت مبالغة متز أيضاً من ناحية اخرى عندما قال : "كانت اعياد أهل بغداد تكاد تكون نصرانية من كل وجه، وكانت اعياد القديسين في مختلف الاديرة اكثر الاعياد نصيباً من احتفال الناس..."[١٥٧].

ومن الانصاف القول إنه كان قد اشار إلى معلومة غاية بالدقة تتعلق بالمشتركين من المسلمين في اعياد النصارى، فقال: "واشتركوا [المسلمين] في الجانب الاجتماعي المسلّي من تلك الاعياد... وكانت الاديرة ببساتينها الفسيحة، وقاعات شرابها الباردة، مجتمع اهل البطالات ومقصد طلاب اللذات من البغداديين..."[١٥٨].

النص المتقدم يوضح بشكل صريح سبب اشتراك المسلمين بأعياد النصارى، وهو طلب التسلية والملذات والترويح عن النفس، وليس التعبّد والتديّن معهم.

ومما يؤكد اعتياد الكثير من المسلمين الاشتراك بأعياد النصارى قول متز: "فقد كان المسلمون يحتفلون بجميع الاعياد النصرانية طول العام..."[١٥٩].

وجرت العادة ان يشترك المسلمون من أهل الطرب واللهو الاشتراك بعيد الفصح، فقال: "وفي يوم الفصح ببغداد كان المسلمون والنصارى... ولا يبقى أحد من أهل الطرب واللهو الا حضره"[١٦٠]، النص المتقدم يذكر المسلمين والنصارى على حد سواء، ولكن المسلمين من طالبي اللهو واللذة والمتعة، وتتكرر هذه العبارة بعدّ اهل اللهو والمتعة والشراب والطرب، انهم كانوا يحضرون اعياد النصارى المتعددة في بغداد والقاهرة على حد سواء[١٦١].

ولم يغفل متز الاشارة إلى اشتراك الخلفاء والامراء في تلك الاعياد في بغداد أو في القاهرة، واشار إلى قيام عدد منهم ببعض الممارسات والاسهام في ابهاج تلك الاحتفالات[١٦٢]، كما اشار متز إلى عدد من الاعلام أو المنصفين أو الرحالة الذين شاهدوا أو اشتركوا في تلك الاعياد ووصفوا جزء من احتفالاتها وطقوسها، مثل: إبراهيم بن القاسم الكاتب[١٦٣]، فقال: "فقد احصى إبراهيم بن القاسم الكاتب حوالي اواخر القرن الرابع معالم لهوها، كمصايد الغزلان بجانب الاهرام ومواخير الجيزة وجسرها، وبستان القِسّ..."[١٦٤]، وقال ان الرحالة

المقدسي يفتخر انه رأى عيد بربارة[١٦٥]، وكذلك المسعودي الذي شهد ليلة الغطاس[١٦٦] في مصر ووصفها بدقة[١٦٧].

ومما يؤيد ذلك ويثبت ان المسلمين كانوا قد اعتادوا المساهمة والاشتراك في احتفالات النصارى واعيادهم، عبارات تدل على ذلك، فعند حديثه عن عيد الشعانين[١٦٨] قال: "وكان يوم احد الشعانين يوم عيد كبير للعامة"[١٦٩]، وقال ايضاً: "وكان الرسم [العادة–التقليد] بمصر وسائر البلاد ايضاً..."[١٧٠]، وعن دير الثعالب[١٧١]، قال: "وكان لا يتخلف عن عيده احد من النصارى والمسلمين"[١٧٢]، واشار إلى عيد بربارة بان المقدسي وصفه: "انه من اعياد النصارى التي يتعارفها المسلمون..."[١٧٣]، وعن عيد الوقود، قال: "وجرت العادة في القرن الرابع الهجري بالتبخير ليلة الوقود[١٧٤] لدفع المضرّة... وصار في رسوم الملوك في ليلته ايقاد النيران وتأجيجها..."[١٧٥]، وعن ليلة الغطاس قال: "وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو[١٧٦] الالوف من الناس من المسلمين والنصارى..."[١٧٧]، وعن عيد الشعانين[١٧٨]، قال: "وكانت العادة ان يضاء سوق الشمّاعين بإضاءة كبيرة..."[١٧٩]، وفي عيد ديّر درماس قال: "وكان يجتمع اليه نصارى بغداد، ولا يبقى احد يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم، وكان الناس يقيمون فيه الايام"[١٨٠].

وقال في عيد سجن يوسف[١٨١]: "وكان من الأعياد الكبرى عند النصارى بمصر عيد سرعان ما اتخذه المسلمون، وهو عيد الخروج لسجن يوسف بالجيزة[١٨٢]، وكانت عادة العامة والسوقة ان يطوفوا قبل الخروج للسجن... فامر الخليفة الظاهر التجار بان يدفعوا ما جرت به العادة..."[١٨٣] .

وفي احتفال عيد السنة القبطية بمصر، قال: "وكانت العادة في رأس السنة الفارسية والقبطية ان يرشّ الناس بعضهم بعضاً بالماء..."[١٨٤].

وفي عيد النيروز قال: "وكان العامة [المسلمون] بمصر من عيد النيروز ينتخبون رجلاً يسمونه امير النيروز..."[١٨٥].

وقال في عند احد اعيادهم: "ونستطيع ان نتبيّن في العادة الجارية بمصر انها تشبه عيد الكرنفال شبهاً واضحاً..."[١٨٦].

وفي عيد النيروز ايضاً قال: "وكان من العادات بقصور العباسيين نثر الزهور..."[١٨٧]، وفي عيد النيروز ايضاً قال: "وكان العامة يغيّرون فيه الفرش والآلات وكثيراً من الملابس"[١٨٨].

وفي عيد الغطاس بمصر كان يقام احتفال مهيب وكبير، قال فيه متز: "وكان من الرسوم [العادات] القديمة بمصر ان يركب متولي الشرطة السفلانية ليلة الغطاس في موكب كبير، وتوقد بين يديه الشموع الموكبية والمشاعل..."[١٨٩].

أما قول متز : "وانتشرت دور الخمر..."[١٩٠]، فهي دلالة على انتشار طالبيه، وشاربيه، والذين كانوا يقدمون عليه بكثرة ايام الاحتفالات الدينية للنصارى، اذ ترددت العبارات الدالة، على تعاطيه، بأماكن عدة عند متز، مثل: "وكثيراً ما يقرن ذكر الاديرة بذكر الشراب..."[١٩١]، وقال في ليلة الوقود: "وحضر الوقت الذي

ينبغي ان يجلس فيه مع الناس للطعام ثم للشراب..."[١٩٢]، وقال في أحد الاعياد: "وهناك يدور الشراب"[١٩٣]، وفي عيد آخر، قال: "ويعمّرون ديّره واكنافه وحاناته"[١٩٤]، وقال في ليلة الغطاس: "ويظهرون كل ما يمكنهم اظهاره من المأكل والمشارب..."[١٩٥]، وقال يصف احتفال النصارى والمسلمين بأحد الاعياد، ما نصه: "فاجتمع عند كنيسة المقسّ[١٩٦]، خلق كثير من النصارى والمسلمين من القيام للأكل والشرب واللهو، وشوهد من سكر النساء وتهتكهن وحملهن في قِفاف الحمّالين سكارى..."[١٩٧]، وأشار إلى أحد اعياد مصر، فقال: "وكان يُباع فيه من الخمر خاصة بما يزيد على مائة الف درهم فضة..."[١٩٨].

النصوص متقدمة الذكر تدل دلالة واضحة على العادات التي اعتادها المسلمون بمساهمتهم بأعياد النصارى من كل بغداد والقاهرة، حتى اصبح رسماً وعادة معمولا بها، بان يحتفل بالأعياد غير الاسلامية (النصرانية).

الخلاصة:

توصل الباحث الى استنتاجات عدة، اهمها:

١- ركز ادم متز بكتابه نهضة الاسلام على اهل الذمة في الدولة الاسلامية، وكانت معلوماته اكثر تركيزا عن النصارى؛ ذلك ربما يعود لانتماءه الى هذه الطائفة والمعلومات التي بحوزته عنها اكثر من غيرها من طوائف اهل الذمة.

٢- حاول متز من خلال البحث ان يوضح ان اهل الذمة الذين غيروا ديانتهم بالانتقال الى الدين الاسلامي، لم يكن تحولهم هذا عن عقيدة بالاسلام ولكن هربا من عقوبة ما لذنب اقترفوه، او رغبة منهم بتعدد الزوجات الذي اقره الدين الاسلامي، لكن هذا مجانب للحقيقة اذ ان هناك الكثير ممن اعتنقوا الاسلام عن قناعة ورغبة فيه.

٣- اعتمد متز في معلوماته عن الطائفة اليهودية على رحالتين يهوديين شهيرين، هما بنيامين التطيلي وبتاحيا، موضحا من خلال كتابيهما على اعداد اليهود وتوزيعهم الجغرافي في المناطق التي تركز تواجدهم فيها.

٤- اتضح من خلال البحث العلامات المميزة لاهل الذمة والشروط التي فرضت عليهم، وطولبوا بالالتزام بها كالملابس واشد الزنار وركوبهم لحيوانات معينة دون اخرى، مع الكيفية التي كانوا فيها يمارسون طقوسهم الدينية.

٥- شارك المسلمون اهل الذمة سيما النصارى منهم اعيادهم واحتفالاتهم، رغبة منهم لطلب الترفيه والمتعة لا التدين بدين النصارى، الا ان الدافع الاكبر عندهم هو طلب الملذات التي كانت متوافرة في تلك الاحتفالات، التي شاركهم فيها ليس العامة من المسلمين وحسب بل حتى الخلفاء وارباب الدولة والمتنفذين للغرض نفسه.

هوامش البحث

[١] بدوي، موسوعة المستشرقين، ٥٤٤.

[٢] العقيقي، المستشرقون، ٤٣١.

[٣] متز، الحضارة الاسلامية، مقدمة المحقق، ن.

[٤] العقيقي، المستشرقون، ٤٣١.

[٥] المستشرقون الالمان النشوء والتاثير، ٢٤.

[٦] متز، الحضارة الاسلامية، مقدمة المحقق، ى.

[٧] الطبعة بجزئين، وقد طبعت في القاهرة سنة ١٩٥٧م.

[٨] موسوعة المستشرقين، ٥٤٤.

[٩] متز، الحضارة الاسلامية، ١/ع كلمة المترجم للطبعة الاولى.

[١٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٤٩٣/١-٥٠٨.

[١١] ابن منظور، لسان العرب، ٢٢١/١٢.

[١٢] الفيروزابادي، القاموس المحيط، ١١٦/٤.

[١٣] سورة التوبة، الآية/٢٩.

[١٤] الماوردي، الاحكام السلطانية، ٢٢٩.

[١٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١.

[١٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١ هامش (٣).

[١٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١.

[١٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١-٦١.

[١٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١.

[٢٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٦١/١. ينظر بخصوص كتاب العهد للجاثليق كاملا. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٢٤ برقم: (١٠٢٥)، وبعنوان: (نسخة عهد الجاثليق).

[٢١] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٢/١.

[٢٢] بخصوص تنفيذ أهل الذمّة ومحاولتهم بث الفرقة بين المسلمين لحساب اخوانهم من اهل الذمّة. ينظر: النقاش، المذمة من استعمال اهل الذمّة، ٢٩٩.

[٢٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٢/١.

[٢٤] النقاش، المذمة من استعمال اهل الذمّة، ٢٩٩.

[٢٥] النقاش، المذمة من استعمال اهل الذمّة، ٣٠٠- ٣٠١.

[٢٦] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢١٥.

[٢٧] ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥٤/٤.

[٢٨] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٤١/٥.

[٢٩] مسكويه، تجارب الامم، ٤١٠/٥.

[٣٠] الجهبذة: الجهبذ كلمة فارسية تطلق على الخبير بالنقود وتمييز الجيد منها الزائف. التنوخي، نشورا المحاضرة، ٤١/١.

[٣١] الصولي، اخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ٤٧١؛ الصابي، الوزراء، ١٥٨.

[٣٢] ابن أبي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ١٨٤، ٢٠٦-٢٠٧، ٢٤٢.

[٣٣] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥٩٢/٤، ٢٧٠/٥.

[٣٤] بخصوص اقصاء وعقاب اهل الذمّة ينظر: النقاش، المذمة في استعمال اهل الذمّة، ٢٨٧-٣٠٠.

[٣٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٢/١.

[٣٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٢/١-٦٣.

[٣٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٣/١.

[٣٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٣/١.

[٣٩] لكن استفادة اليهود من الانقسام في دولة الاسلام لا يعني ان اليهود كانوا متحدين بل اثبتت لنا حوادث التاريخ بأنهم كانوا متناحرين حول تزعم الطائفة، وذلك التناحر ادى إلى ظهور انقسامات في الطائفة اليهودية ولدت بينهم فتن اضطر احيانا إلى تدخل الخلافة لحها، واستمرت هذه الفتن منذ ايام المأمون ١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م، حتى امتدت اكثر من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. للمزيد عن الفتن بين طوائف اليهود، ينظر: غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ١٠٨-١١٠.

[٤٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٤١] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٤٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٤٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١ هامش (٢).

[٤٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٢/١.

[٤٥] نزهة المشتاق من تاريخ يهود العراق، ١٢٢.

[٤٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٤٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٤٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١- ٦٥.

[٤٩] تاريخ الحلة، ١٣/١.

[٥٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٥١] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١ هامش (٥).

[٥٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١.

[٥٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١ هامش (٢).

[٥٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٦/١.

[٥٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١ الهامش (٢).

[٥٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٥٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٥٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١.

[٥٩] سورى: موضع بالعراق من ارض بابل، وهي مدينة السريانيين قريبة من الوقف والحلة المزيدية. الحموي، معجم البلدان، ٢٧٨/٣.

[٦٠] نهر الملك: كورة واسعة ببغداد تشتمل على ٣٦٠ قرية. الحموي، معجم البلدان، ٣٢٤/٥.

[٦١] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١.

[٦٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١.

[٦٣] قُرْح: بالضم ثم السكون، وهو سوق وادي القرى، وهو من قرية يقال انه هلك بها عاد قوم هود. الحموي، معجم البلدان، ٣٢٠/٤-٣٢١.

[٦٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١.

[٦٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١.

[٦٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١.

[٦٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٦/١.

[٦٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٦/١.

[٦٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٤/١، ٦٦.

[٧٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٦/١.

[٧١] أبو يوسف، كتاب الخراج، ١٢٢؛ الكاساني، كتاب بدائع الصنائع، ١١١/٧؛ ابن القيم الجوزية، احكام اهل الذمّة، ١١٩/١.

[٧٢] الخراج وصناعة الكتابة، ٢٢٥.

[٧٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٦/١.

[٧٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٦/١.

[٧٥] خوزستان: ضم اوله وبعد الواو الساكنة زاي وسين مهملة وهو اسم لجميع بلاد الخوز. الحموي، معجم البلدان، ٤٠٤/٢-٤٠٥.

[٧٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١.

[٧٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٧/١، ٥٩-٦٦.

[٧٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٧/١.

[٧٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١.

[٨٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١.

[٨١] السنن الكبرى، ١٨٨/٩.

[٨٢] المصنف، ٣٢٧/١٠ رقم الحديث ١٩٢٦٢.

[٨٣] أحكام القرآن، ١٢٠/٣.

[٨٤] الاستذكار، ٢٤٣/٣.

[٨٥] الشرح الكبير، ٥٨٦/١٠.

[٨٦] الخراج وصناعة الكتابة، ٢٧٥.

[٨٧] الخراج وصناعة الكتابة، ٢٢٥.

[٨٨] هجر: بفتح اوله وثانيه، مدينة هي قاعدة البحرين بينها وبين اليمامة عشرة ايام. ابن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٤٥٣/٣.

[٨٩] القرينين: من قرى مرو تقع بين مرو الشاهجان ومرو الروذ، وسميت بالقرينين كونها تقرن مرة مع مرو الروذ واخرى مع مرو الشاهجان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٨٨/٤.

[٩٠] اقليم خوزستان: ارض خوزستان ببلاد فارس، تشبه ارض العراق وهوائها، مياهها طيبة فيها الكثير من النخل، والخوز هم سكان خوزستان والاهوار وجبال اللور قرب اصبهان. الحموي، معجم البدان، ٤٠٤/٢-٤٠٥.

[٩١] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٥/١.

[٩٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٧/١.

[٩٣] الصابئة: للتفاصيل عن الصابئة ينظر: سباهي، اصول الصابئة المندائيون ومعتقداتهم؛ درواوور، الصابئة المندائيون.

[٩٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٧/١.

[٩٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٧/١.

[٩٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٧/١-٦٨.

[٩٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٨/١.

[٩٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٣/١.

[٩٩] الطيلسان: مفرد طيالسة، وكانت القلانس تلبس كغطاء على الرأس أما لوحدها أو تلفّ حولها العمائم. الجاحظ، التاج، في اخلاق الملوك، ٤٨.

[١٠٠] الزنّار: هو ما يتزر به اهل الذمة، وقيل انه حزام يشد به الذمي وسطه. الفراهيدي، كتاب العين، ٣٥٩/٧؛ ابو الفرج الاصفهاني، كتاب الاغاني، ١٤٦/١٩.

[١٠١] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٤/١- ٨٥.

[١٠٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١.

[١٠٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٦/١.

[١٠٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٩٧/١.

[١٠٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٩٩/١.

[١٠٦] البراطيل: جمع برطلة وهي قبعة توضع على الراس من قبل رجال الدين الذميين للوقاية والظِل بها من اشعة الشمس. الفراهيدي، كتاب العين، ٤٧٠/٧، ١٤٨/٨.

[١٠٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٣/١-٨٤؛ هامش (١) من صفحة ٨٤.

[١٠٨] الشعانين: هو احد الاعياد المسيحية، يجتمع فيه النصارى من جميع النواحي ويحتفلون بهذا العيد، وكان يقوم فيه سوق عظيم من السنة الى السنة، فيبيعون ويشترون ثلاثة ايام، وقد شاركهم المسلمون هذا الاحتفال. الواقدي، فتوح الشام، ٩٧/١.

[١٠٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٨/٢.

[١١٠] عيد القديسة اشموني: عيد اشموني: وهو من الاعياد المسيحية يحتفل به النصارى في اليوم الثالث من تشرين الاول، ويكون الاحتفال في دير اشموني في منطقة قطربل غربي دجلة، وهو من اعياد بغداد المهمة عند النصارى. متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/٢.

[١١١] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/٢.

[١١٢] عيد الغطاس: هو احد اعياد النصارى، يصادف العيد في السادس من شهر يناير، حسب اعتقاد النصارى فأن يحيى بن زكريا عمّد السيد المسيح في نهر الاردن وغطسه في الماء، وعند خروجه من الماء اتصل به روح القدس؛ لذا صار تقليد عند النصارى يغطسون اولادهم في الماء بهذه المناسبة. المقريزي، كتاب الخطط المقريزية، ٢٩/٢

[١١٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/٢.

[١١٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٩/٢ هامش ١.

[١١٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٩٠/٢.

[١١٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٤/١.

[١١٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٤/٢.

[١١٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٣/١-٨٤.

[١١٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١.

[١٢٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٢/١.

[١٢١] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٢/١.

[١٢٢] البرذون: نوع من الخيول غير الاصيلة؛ ويكون احد ابويه او كلاهما غير عربي. ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ٨٦/٢

[١٢٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١.

[١٢٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٩٠/١، ٩٢، ٩٥-٩٦.

[١٢٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٦/١.

[١٢٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٦/١.

[١٢٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٨٥/١.

[١٢٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٧/١-٥٨.

[١٢٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١.

[١٣٠] حول حكم المرتد في الاسلام. ينظر: الامام الشافعي، كتاب الأم، ٧٦/٤؛ البخاري، صحيح بخاري، ٤٨/٨.

[١٣١] قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ النساء /١٤١.

[١٣٢] هكذا في النص.

[١٣٣] النساطرة: هم اصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر ايام خلافة المأمون العباسي ١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م وتصّرف بالاناجيل حسب رأيه، وقال بأن الله واحد بالجوهر ذو اقانيم ثلاثة، هي: (الوجود، والعلم، والحياة)، الشهرستاني، الملل والنحل، ١٨١.

[١٣٤] مرو: مدينة قريبة من مروالشاهجان من مدن خراسان. الحموي، معجم البلدان، ١١٢/٥.

[١٣٥] عقوبة اللواط في الاسلام هي رجم اللائط والملوط محصنان كانا ام غير محصنان. الشريف المرتضى، الانتصار، ٥١٠.

[١٣٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١ هامش (١).

[١٣٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١ هامش (١).

[١٣٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١ هامش (١).

[١٣٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١ هامش (١).

[١٤٠] الدين الاسلامي يحاسب المسلم الزاني بالرجم فكيف بالذمي الذي يزني بمسلمة. الترمذي، سنن الترمذي، ٤٤٢/٢؛ النسائي، السنن الكبرى، ٣٠١/٢، رقم الحديث (٣٥٢٠).

[١٤١] البيرة: كورة كبيرة بالأندلس متصلة بأراضي كورة قبرة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلاً. الحموي، معجم البلدان، ٢٤٤/١.

[١٤٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١ هامش (١).

[١٤٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٨/١ هامش (١).

[١٤٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٩/١ .

[١٤٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٩/١.

[١٤٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٩/١.

[١٤٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٩/١.

[١٤٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٩/١.

[١٤٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١.

[١٥٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٦٠/١.

[١٥١] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٩/١.

[١٥٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٥٩/١ هامش (٣).

[١٥٣] ذكر الامام مالك ان الرسول (ﷺ) قال: "لا يتوارث أهل ملتين"، وقد تحدثت المصادر عن الوراثة وما يتعلق بها بين أهل الذمّة والمسلمين وفصلت في ذلك، ابن أنس، المدونة الكبرى، ٣٦٧/٣؛ ابن حنبل، مسند احمد، ١٥٨/٢؛ ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ٩١٢/٢؛ أبو داود، سنن أبي داود، ٤٨/٢؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٢٨٦/٣.

[١٥٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٦/٢-٢٩٥.

[١٥٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٦/٢-٢٩٣.

[١٥٦] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٩٣/٢-٢٩٥.

[١٥٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٦/٢.

[١٥٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٦/٢-٢٧٧.

[١٥٩] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٦/٢.

[١٦٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٩/٢.

[١٦١] متز، الحضارة الاسلامية، ٧٧/٢، ٢٧٩- ٢٨٠، ٢٨٥-٢٨٧.

[١٦٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٧٧/٢، ٢٨٢-٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩١.

(١٦٣) ابراهيم بن القاسم الكاتب: ويعرف بالرقيق القيرواني، والرقيق لقبا له، وهو رجل فاضل عالم بالاخبار له تصانيف كثيرة في علم الاخبار، ومنه كتاب تاريخ افريقية والمغرب، وكتاب النساء وكتاب الراح والارتياح، غلب عليه لقب الكتابه والتاريخ. الحموي، معجم الادباء، ٢١٦/١ ترجمة رقم (٢٨)؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٦١/٦.

(١٦٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٧٧/٢.

(١٦٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨١/٢.

(١٦٦) ليلة الغطاس: وهي الليلة الحادية عشر من كانون الثاني، قال المسعودي عنها: "والليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند اهلها، لا ينام الناس فيها... ولقد حضرت [القول للمسعودي] سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاص بمصر، والاخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها، وقد امر فأُسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط الف مشعل غير ما اسرج اهل مصر من المشاعل والشمع... وهي احسن ليلة تكون بمصر، واشملها سرورا، ولا تغلق الدروب، ويغطس اكثرهم في النيل، ويزعمون ان ذلك امان من المرض ومبرئ للداء". مروج الذهب، ٣٧٩/١.

(١٦٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/٢.

(١٦٨) عيد الشعانين: هو احد الاعياد المسيحية، يجتمع فيه النصارى من جميع النواحي ويحتفلون بهذا العيد، وكان يقوم فيه سوق عظيم من السنة الى السنة، فيبيعون ويشترون ثلاثة ايام، وقد شاركهم المسلمون هذا الاحتفال. الواقدي، فتوح الشام، ٩٧/١. وقال الذهبي بهذا العيد: "وهو عيد الشعانين الذي للنصارى... فعمل فيه من اللهو والخمور والمغاني ما يضاهي المولد المكرم [ربما يقصد المولد النبوي] فكان يمدّ سماطا طويلا الى الغابة بظاهر البلد، ويجمع مغاني البلاد". الذهبي، تاريخ الاسلام، ٣٢٣/٤٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٠٨/٢٤. وذكره القلقشندي بالقول: "عيد الشعانين وتفسيره بالعربية التسبيح، يعملونه في سابع احد صومهم؛ وسنّتهم فيه ان يخرجو بسعف النخل من الكنيسة، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور [الحمار] في القدس ودخوله صهيون وهو راكب والناس يسبحون بين يديه". صبح الاعشى، ٤٥٤/٢، ٤٦١.

(١٦٩) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٧/٢.

(١٧٠) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٨/٢.

(١٧١) ديّر الثعالب: وهو ديّر من ديّارات بغداد، في جانبها الغربي، في الموضع المعروف بـ: باب الحديد، يقصده اهل بغداد للتنزه، ولا يكاد يخلو من قاصد، وله عيد لا يتخلف عنه احد من المسلمين ولا النصارى، وقال فيه الشعراء القصائد والاشعار. للمزيد من التفاصيل. ينظر: الشابشتي، الديّارات، ٢٤-٢٧.

(١٧٢) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/٢.

(١٧٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/٢.

(١٧٤) ليلة الوقود: وهي ليلة الميلاد المسيحي، وكان يجمع الحطب فيها ويشعل. ونقل ابن الاثير رواية عن ليلة الوقود سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م وكيف احتفل فيها بعد ان جمع الحطب كالقباب ووضع حول الجبل بقرب مدينة زندروذ في المشرق الاسلامي وجمع نفط ورش على الحطب واشعل في ليلة الميلاد، وكيف مدّ سماط فيه انواع الماكولات والمشروبات، ثم اشعلت النار والناس تتفرج عليها. الكامل في التاريخ، ٢٩٨/٨. ينظر ايضا: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٤٢٩/٤.

(١٧٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨١/٢-٢٨٢.

(١٧٦) هكذا وردت عند متز، وعند الرجوع الى المصدر الذي اخذ عنه متز، وجدناه مطابق لما نقله متز.

(١٧٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/٢.

(١٧٨) عيد الشعانين: هو احد الاعياد المسيحية، ويسمى ايضا عيد الزيتونة، يقوم يوم الاحد السابق لعيد الفصح، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس. ينظر: النويري، نهاية الارب، ٤١٧/٣١؛ ابو حبيب، القاموس الفقهي، ١٨٩. وكان النصارى ببغداد في هذا العيد يحضرون فيه الطعام بانواعه، ويحتسون الخمر، ويمارسون الجنس مع الغلمان، ويشاركهم المسلمون الذين يبحثون عن المتعة واللهو هذه الافعال. الخصيبي، الهداية الكبرى، ٣٢٥؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ١٧٠/٤، ٤٦١.

(١٧٩) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/٢.

(١٨٠) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٥/٢.

(١٨١) يقصد به مناسبة خروج النبي يوسف بن يعقوب الذي اودعه عزيز مصر السجن في منطقة الجيزة، فاحتفل النصارى بمناسبة ذكرى اخراجه من السجن.

(١٨٢) الجيزة: بالكسر، في لغة العرب تعني افضل موضع في الوادي، وهي بليدة غربي فسطاط مصر ومن افضل كورة بمصر، كره اهلها الانظمام لعمرو بن العاص بعد الفتح، فاختطوا الجيزة خططا وبقوا فيها. الحموي، معجم البلدان، ٢٠٠/٢.

(١٨٣) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٥/٢.

(١٨٤) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٧/٢.

(١٨٥) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٨/٢.

(١٨٦) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٩/٢.

(١٨٧) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٩١/٢.

(١٨٨) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٩٠/٢.

(١٨٩) متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٣/٢.

[١٩٠] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٣٨/٢.

[١٩١] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٧/٢.

[١٩٢] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٢/٢.

[١٩٣] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٧٩/٢.

[١٩٤] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٠/٢.

[١٩٥] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٤/٢.

[١٩٦] كنيسة المقس: بالفتح ثم السكون ثم سين مهملة، والمقس مسيحية قبل بناء الفسطاط، حاصرها عمرو بن العاص وقاتله اهلها قتالا شديدا سنة ٢٠هـ/٦٤١م، ثم فتحها. الحموي، معجم البلدان، ١٧٥/٥. ينظر: القرشي فتوح مصر واخبارها، ١٥٨.

[١٩٧] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٦/٢.

[١٩٨] متز، الحضارة الاسلامية، ٢٨٦/٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الاثير، علي بن ابي الكرم الجزري (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

ابن أبي اصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم (٦٦٨هـ/١٢٦٩م).

- عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

ابن أنس، مالك (١٧٩هـ/٧٩٥م).

- المدونة الكبرى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٢٣هـ.

البخاري، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت:٢٥٦هـ/٨٦٩).

- صحيح بخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١.

البيهقي، أحمد بن الحسن (٤٥٨هـ/١٠٦٥م).

- سنن البيهقي، دار الفكر، بيروت، د.ت.

الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩هـ/٨٩٢م).

- سنن الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

التنوخي، أبو علي الحسن بن علي (ت:٣٨٤هـ/٩٩٤م).

- نشورا المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

الثعالبي، عبد الملك (ت:٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

- يتيمة الدهر، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت:٢٥٥هـ/٨٦٨م).

- التاج، في اخلاق الملوك، تحقيق: احمد زكي، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت:٣٧٠هـ/٨٨٣م).

- أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام مجيد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤.

ابو حبيب، د. سعدي.

- القاموس الفقهي، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد (٥٣٦هـ/١١٤١م).

- التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس،دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

ابن حنبل، الامام احمد (ت:٢٤١هـ/٨٥٥م).

- مسند احمد، دار صادر، بيروت، د.ت.

الخصيبي، ابو عبد الله الحسين بن حمدان (ت:٣٣٤هـ/٩٤٥م).

- الهداية الكبرى، ط٤، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي المغربي (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

- تاريخ ابن خلدون المسمى بـ: العبر وديوان المبتدأ والخبر في اخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١/١٩٧١م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين (٦٨١هـ/١٢٨٢م).

- وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.
أبو داود، سليمان بن الاشعث السجستاني (٢٧٥هـ/٨٨٨م).
- سنن أبي داود، تحقيق: سعد محمد العكام، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠.
درواوور، الليدي.
- الصابئة المندائيون، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان الرومي، ط٢، دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٦.
الذهبي، شمس الدين بن قايماز (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
- تاريخ الاسلام، تحقيق: د.محمد عبد السلام الدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.
سباهي، عزيز.
- اصول الصابئة المندائيون ومعتقداتهم، منشورات دار المدى، دمشق، ٢٠٠٢.
الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد (٣٨٨هـ/٩٩٨م).
- الديّارات، تحقيق: كوركيس عوّاد، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
الشافعي، أبو عبدالله محمد بن ادريس (ت:٢٠٤هـ/٨١٩م).
- كتاب الأم، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.
الشريف المرتضى، علي بن الحسين البغدادي (٤٣٦هـ/١٠٤٤م).
- الانتصار، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤١٥هـ
الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (٥٤٨هـ/١١٥٣).
- الملل والنحل، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٨.
الصابي، أبو الحسن هلال بن المحسن (٤٤٨هـ/١٠٥٦م).
- الوزراء المسمى: تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار احياء الكتب، القاهرة، ١٩٥٨.
الصنعاني، عبد الرزاق (ت:٢١١هـ/٨٢٦م).
- المصنف، حبيب الرحمن الاعظمي، منشورات المجلس العلمي، د.مك، د.ت.
الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (٣٣٥هـ/٩٤٦م).
- اخبار الراضي بالله والمتقي بالله، تحقيق: صبور شادن، ط٣، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٣.
الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م).
- تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.
ابن عبد البر، أبو عمر يوسف الفهري القرطبي (٤٦٣هـ/١٠٧٠م).
- الاستذكار، تحقيق: سالم حميد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.
ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن، (٧٣٩هـ/١٣٣٨م).
- مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢.
ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله الهمداني (٧٦٩هـ/١٣٦٧م).
- شرح ابن عقيل، ط١٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٤.
غنيمة، يوسف رزق الله.
- نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤.
الفراهيدي، الخليل بن احمد (١٧٥هـ/٧٩١م).
- كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د.ابراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، ١٤١٠هـ.
ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد (٣٥٦هـ/٩٦٧م).
- كتاب الاغاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
ابن قدامة، عبد الرحمن (ت:٦٨٢هـ/١٢٨٣م).
- الشرح الكبير، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن قدامة بن زياد (ت:٣٢٨هـ/٩٣٩م).
- الخراج وصناعة الكتابة، علق عليه وشرحه: د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.
القلقشندي، ابو العباس احمد (ت:٨٢١هـ/١٤١٨م).
- صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله (٧٥١هـ/١٣٥٠م).

- احكام اهل الذمّة، تحقيق: يوسف بن احمد البكري وشاكر بن توفيق، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٧.
الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود (٥٨٧هـ/١١٩١م).
- كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
كركوش، يوسف.
- تاريخ الحلة، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥.
ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، (٢٧٣هـ/٨٨٦م).
- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
المسعودي، أبو الحسن علي (٣٤٦هـ/٩٥٧م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط٢، دار الهجرة، قم، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤.
مسكويه، أبو علي حمد بن محمد (٤٢١هـ/١٠٣٠م).
- تجارب الامم وتعاقب الهمم، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
المقريزي، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي (٨٤٥هـ/١٤١٤م).
- كتاب الخطط المقريزية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ/٩١٥م).
- السنن الكبرى، المعروف بـ: (سنن النسائي)، تحقيق: عبد الغفار سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١.
النقاش، أبو اسامة محمد بن علي (ت:٧٦٣هـ/١٣٦١م).
- المذمة من استعمال اهل الذمّة، تحقيق: سيد كسروي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢.
النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت:٧٣٣هـ/١٣٣٢م).
- نهاية الارب في فنون الادب، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، د.ت.
أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم الانصاري (١٨٢هـ/٧٩٨م).
- كتاب الخراج ، دار المعرفة، د.ت.